
مغامرات بوليسية
ملك الفضائح
شرلوك هولمز
دار
الفرجاني

ملك الفضائح

الطبعة الأولي
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

دار الفرجاني
القاهرة : ٩ ميدان الذهبي - منشية البكري - مصر الجديدة
تليفون : ٢٩٠٥٨٩٥ ص. ب : ٢٣٨٢ الحرية

الغلاف : الفنان / صالح وحيد
الجمع التصويري / سحر اسماعيل
رشا اسماعيل

ملك الفضائح

ترجمة

عزت السيد ابراهيم

تأليف الكاتب الانجليزي الخالد

سير ارثر كونان دويل

دار الفرجاني

القاهرة - طرابلس - لندن

م مر عـام على الوقـائع التى سوف أسردها وقد يلومنى لائم لأنى لم أنشرها في حينها غير انه لو علم السـبب يعـذرني اذ إنهـا تخـدش بعض الشخصيات الهامـة لو اذيعت وقتئذ لقلبت انجلترا رأسا على عقب . أما الآن وقد أصبح الجانى بعيداً لاتسرى عليه قوانين البشر ففى استطاعتى رواية القضية دون أن تمس أحدا .

وفي الواقع فهى من أغرب القضايا التى عالجتها مع صديقى مستر شرلوك هولمز سيلحظ القارىء أننى ابدلت أسماء الأشخاص الذين لهم علاقة بالقضية بأسماء مستعارة وغيرت توزيع أدوارهم حتى يتعذر على القارىء معرفة رجالها الأصلين ..

كانت أمسية رطبة تكاد تتجمد لها الدماء في العروق وكان الهـواء يهب علينا في برودة الثلج عندما عـدت أنا وهولمز من الخارج في الساعة السادسة مساء ، وبعد أن دخلنا المنزل وجدنا على مكتبه بطاقة لم يلبث أن رفعها وألقى نظرة اشمئزاز عليها ثم رماها على أرض الغرفة فدهشت لهذه الحركة الغريبة وانحنيت لإلتقاطها وإذا فيها :

شارلس أوغسطس ميلفرتون
وكيل أعمال

أبليدور تاورز همبستيد

فسألته :

✿ هل تعرفه ؟

فقال ولازالت علامات الاشمئزاز ترتسم على وجهه النحيل :

✿ أعرف أنه أقذر رجل في لندن بأسرها .. هل كتب شيئا فى ظهر البطاقة ؟

سألنى وهو يتخذ مقعده ويدنى قدميه من نار المدفأة بينما قلبت البطاقة وقرأت ماكتب خلفها ثم قلت :

✿ " سأحضر في الساعة السادسة والنصف - ش .ا .م "

✿ ألم تشعر بشيء ياواطسون عندما تزور حديقة الحيوانات وتقف برهة أمام مجموعة الثعابين بأجسادها الناعمة الزاحفة وعيونها الضيقة التى يموج فيها الموت الذريع ! ألم تشعر باشمئزاز وأنت تراها ؟ هذا هو ما أحس به عندما يقع نظرى على شارلس أوغسطس مليفرتون .

وسكت لحظة ثم قال :

• لقد عالجت قضايا كثيرة .. مئات من القضايا كانت كل منها تعج بشخصيات القتلة والمجرمين ، ولكنى لم أحس بذرة من شعورى الذى أشعر به نحو هذا الشخص المقيت .

فسألته وأنا أدهش من ثورته على الرجل الذى لم أره من قبل:

• ولكن من شارلس اوغسطس ميلفرتون هذا ؟!

فأجابنى وهو يشوح بيده :

• هو ملك الفضائح .. ويل للرجل أو المرأة التى تقع أسرارها التى تود اخفاءها بين يدى ميلفرتون فهو يتقدم إليها بنعومة الأفعى ويصارحها بما عثر عليه ويهددها باذاعتها بالرفق تارة وبالشدة تارة أخري حتى تعطيه ما يطلب لسكوته ويظل يمتص دماءها قطرة قطرة حتى يصيبها الجفاف والا تجد منفذاً من ورطتها إلا بالإنتحار .. وله طريقة خاصة يسير على نهجها وهى تدل على عبقرية فذة هى الأولى من نوعها وتتلخص في أنه يذيع في الطبقة السفلى أنه على استعداد لدفع مبالغ باهظة لمن يتحصل له على خطابات أو وثائق تدين أكبر شخصيات انجلترا سواء في المركز أو في الثروة ولا يكتفى بالخدم اللذين ينقلون

ينقلون اليه أخبار أسيادهم أولا بأول بل له أيضاً معاملات مع بعض المحتالين الوجهاء الذين يغرون النساء بمظاهرهم الكاذبة حتى يوقعوهم في شباك غرامهم حتى إذا ما اطمأنن إليهم ووثقن بهم شجعوهن بالكتابة إليهم وهم يحتفظون بالخطابات ويعطونها لميفرتون مقابل مبالغ باهظة لايكاد يصدقها العقل ..

وهو ينتقى من الناس من هم أكثر شحا وبخلا وأذكر مرة أنه دفع سبعمائة جنيه ليتحصل على سطرين فقط كانا كافيين للقضاء على سمعة أحد نبلاء الإنجليز المعروفين وتلطيخ اسم أسرتة التى ينحدر فيها بالوحل والعار الذى لايمحى مهما تقادم عليه العهد .

ينقض على فريستة فجأة دون انزار ودون أن يمهد لها أى فرصة للافلات من بين أصابعه ..

ويفكر في خطته ويراجعها مرات .. ومرات .. حتي إذا وجد إنها كاملة خالية من كل ثغرة يتدخل منها القانون أقدم على تنفيذها وهو مطمئن البال .. لقد ذكرت لك أنه أقذر مخلوق في لندن .. بل في العالم بأسره ياواطسون !

وسكت هولمز .. وقد دهشت لأنى لم أسمعه مرة يتكلم بهذا الحماس وقلت :

❁ ولكن من المؤكد انه وقع في ورطة مع رجال البوليس فتقدم اليك يسألك المعونة !

فهز صديقى رأسه وقال :

❁ لاأظن إذا ، ماسوف تجنى سيدة وقعت في يده من سجنه بضعة شهور وهى تعلم بل تثق في أنه سيثير حولها فضيحة كبرى قبل أن يطأ عتبة السجن بقدمه ! ولنفرض جدلا أنه هدد شخصا بريئا باختلاق أخبار وأسرار كاذبة مزيفة يحيطها باسمه الناصع .. كان الأحرى أن يحضر هذا الشخص المعنى لاستشارتى وسؤالى أن أنتشله من بين براثن ذلك الوغد ولكن الذى سوف يحضر هو المجرم نفسه فدعنا نبحث عن سبب آخر معقول يقوده الينا ونفكر في طريقة حاسمة لمحاربته .

فظهرت أثار الدهشة الشديدة على وجهى وأنا أجيبه :

محاربته ! اذن فأنت تعرف السبب الذى دعاه إلى المجيء هنا لأنك تفكر في محاربته ؟

❁ نعم وقد أنكرت عليك السبب لأننى وددت أن تستعمل عقلك .. والواقع ان إحدى الشخصيات الكبيرة في المجتمع الانجليزى وضعت قضيتها بين يدى وهذه

الشخصية هى " الليدى ايفا براكويل " التى ستتزوج قريبا من ايرل أوف دوفر كورث وقد كانت على صلة بشخص من قبل وكانت تراسله وقد وقعت خطاباتها أخيرا في يد ميلفرتون الذى لايرحم ولو أذاعها لتخلى أيرل أوف دوفر كورث عنها وقد طلب ميلفرتون مبلغا باهظا مقابلها وهددها بارسالها إلى خطيبها إذا لم ترضخ له وتدفع ما يطلب ولذلك قد أرسلت في طلب ميلفرتون لأتفق معه على شروط تكون في صالح الليدى موكلتى ..

وفي هذه اللحظة طرق سمعنا صوت محرك سيارة تقف أمام الباب الخارجى وعندما نظرت من النافذة وجدت السائق يفتح بابها باحترام زائد ويهبط منها شخص تدل هيئته على الغنى والثراء وكان يرتدى قبعة من النوع الجديد ومعطفا ثمينا ..

وبعد لحظة كان شارلس أوغسطس ميلفرتون معنا في الحجرة وهو يخلع القبعة والمعطف ..كان في الخمسين من عمره .. يحمل بين كتفيه رأسا كبير الحجم له جبهة عريضة تدل على الذكاء المفرط حليق الشارب والذقن على فمه تسيل ابتسامة جامدة لاتعبر عن شىء وكان ينبعث من عينيه المغطاتين بالنظارة شعاع غريب إن دل على شىء فهو يدل على الخبث والدهاء وكان صوته ناعما رقيقا يخدع سامعه فلايظن أنه إزاء رجل مجرم قذر لاهم له إلا حشو جيوبه بالمال بأى وسيلة ..

والقى ميلفرتون معطفه فوق ظهر المقعد الذى جلس عليه وقال:

• حسناً .. أكون سعيدا يامستر هولمز لو تفاهمت معك على انفراد ..

قالها وهو ينظر إلى بينما قال هولمز في صوت هادىء واضح النبرات وهو يقدمنى اليه :

• الدكتور واطسون صديقى .. مستر شارلس أوغسطس ميلفرتون ..

ثم قال إجابة على سؤاله :

• تستطيع يامستر ميلفرتون أن تتفاهم معى أمامه فهو زميلى في العمل ..

• حسنا يامستر هولمز .. أنت طبعا تعرف المسألة ولا داعى لإعادة سردها و ..

فقاطعه صديقى ..

• نعم وصديقى واطسون يعرفها أيضا .

• حسنا جدا إذن نستطيع أن نبدأ في العمل مباشرة ..

وسكت لحظة ثم استطرد :

❁ تقول أن الليدى إيفا براكويل قد وكلتك عن نفسها فهل خولت لك حق الإتفاق معى على الشروط أيضا ؟

❁ نعم .. وما هى شروطك ؟

❁ سبعة آلاف جنيها !!

فقفز هولمز واقفا وصاح في وجهه :

❁ مقابل ماذا ؟

بينما قال ميلفرتون في صوت واضح هادىء :

❁ لاتخجلنى بالشرح ولكن ثق تماما أنه إذا لم تدفع الليدي إيفا المبلغ الذى أطلبه قبل يوم ١٤ في الشهر الحالى فسوف لايتم زواجها بإيرل أوف دفر كورث الذى حدد له يوم ١٨ من نفس الشهر ..

وزادت الإبتسامة بشاعة حول فمه الكريه ..

وفكر هولمز لحظة ثم قال وهو يعود إلى مقعدة ..

❁ لقد جاءت الليدى هنا لاستشارتى وصرحت لى بمحتويات هذه الرسائل وسوف أسديها نصيحة وهى الإعتراف لخطيبها الأيرل بكل شىء وتثق بعد ذلك بنبل اخلاقة وشهامتة كرجل ينحدر من أصل طيب وعنصر شريف ..

فهز ميلفرتون كتفيه استهزاء وقال :

❁ إذن فأنت لاتعرف الأيرل حق المعرفة يا سيدى .. انها رسائل هامة لا أستطيع التنازل عنها بمثل هذه السهولة التى تظنها ولو كنت تعلم ماتحويه هذه الخطابات كما تقول لوجدت أن الثمن الذى أطلبه في مقابلها قليل بالنسبة لها ..

قال ذلك وتناول معطفه وقبعته بينما صاح هولمز وهو يهتز من فرط الغيظ :

❁ انتظر قليلا يامستر ميلفرتون ولا تتعجل في الإنصراف وسوف تبذل كل جهد معك لتحاشى الفضيحة التى سوف تقدم اليها ..

فقال ميلفرتون وهو يعود إلى مقعده :

❁ كنت واثقا من ذلك ..

وقال هولمز :

❁ ومن جهة أخرى إن الليدى إيفا براكويل ليست بالسيدة الثرية وأظن أن الفين من الجنيهات كافية لأن تؤثر على ثروتها المحددة تأثيرا سيئا .. ولكن الميلغ الذى حددته

ليس في وسعها دفعه فأرجو أن تقبل الألفين وتعيد الينا الخطابات مقابلها ..

❁ قد يكون قولك حقيقيا من ناحية ثروتها ولكن زواجها من ايرل أوف دفر كورث صفقة عظيمة لها وأظن أن فرصة كهذه أكون مثلا للغباوة والتغفيل لو تركتها تفلت من بين أصابعي ..

وسكت لحظة ليرى تأثير كلماته وقال :

❁ ولاتنس أن جميع الاهل والأصدقاء يترقبون حفلة الزواج على أحر من الجمر .. (ونظر الينا نظرة ذات معنى) فاذا ظهرت حزمة من الرسائل ...

فقاطعه هولمز وهو يضغط على ضروسه :

❁ ولكن هذا مستحيل ...

❁ اذن ماذا تريد مني أن أفعل .. انتظر

وأدخل يده في جيب جاكتة الداخلي واخرج محفظة من النوع الكبير وأشار إلى رزمة من الخطابات تطل منها وقال :

❁ هذه الخطابات تختص بـ .... حسنا قد يكون من الأوفق اخفاء الاسم إلى صباح الغد لأنها وقتئذ ستكون في حيازة

زوج السيدة المقصودة .. لأنها فقيرة وليس في إمكانها دفع المبلغ الذى طلبته منها ناسية أنه يمكن رهن جواهرها الغالية التى تحلى جيادها الناصع وعنقها الجميل بها ..

إنه لشيء يؤسف له حقا ولكن هل تتذكر يامستر هولمز خطوبة الأفورابل مس مايلز والكولونيل دو كينج التى فسخت فجأة !! يومان فقط قبل ميعاد الزفاف كانا كافيين لأن تنشر جريدة المورننج بوست خبر فسخ الخطوبة فجأة دون أن يدرى أحد السبب ولو كانت مس مايلز دفعت مبلغ الألف والمأتين جنيه التى طلبتها لتم كل شيء وفق رغبتها .. ثم تأبى أنت يامستر هولمز وتستكثر سبعة آلاف جنيه .

- هى الحقيقة التى أفوه بها فإن ثروة الليلدي إفا محددة وليس في طاقتها دفع أكثر من الفين وهو مبلغ لايستهان به في هذه الايام العصيبة . يمكنك أن تفيد منه بينما لايمكنك أن تفيد من فسخ الخطوبة بين إيرل أوف دوفر كورت فأنت الغانم إذا اقتنعت بها ..

- لقد أخطأت خطأ جسيما يامستر هولمز في قولك اذ أن فسخ خطوبتها والخراب أفيد منه كثيرا ..

عندى الآن ثمان أو عشر حالات تشبه حالتها فاذا أذعت

أسرار الليدى إيفا اتخذت من خرابها مثلا أضربه لكل عاص وعاصيه لايقبل الدفع .. هل رأيت ياعزيزى ؟!

وعندئذ لم يحتمل هولمز أكثر من ذلك فقفز من فوق مقعده كمن لدغته أفعى سامة وصاح بى وهو يلهث :

* واطسون قف خلفه ولاتدعه يتخطى عتبة الباب قبل أن ننتزع منه الحافظة .

غير أن ميلفرتون أتى بحركة فجائية لم نكن نتوقعها فانتصب واقفا وألصق ظهره بالحائط وأشهر في وجهينا مسدسا كبير الحجم أخرجه بسرعة من جيبه الخلفى وقال وقد زادت الإبتسامة البشعة اتساعا :

* ان حيلتك قديمة يامستر هولمز فإياك أن تلمسنى أنت وصديقك ...

ودوى في الغرفة الضيقة صوت قهقهة وقحة أرسلها من فمه واستطرد :

* هل تعتقد في الغباوة إلى هذا الحد .. أنت واهم وأؤكد لك أننى مسلح من قمة رأسي إلى اخمص قدمى وإلى جانب هذا تطرف بك الظن أنى أحمل في حافظتى رباطات الرسائل .

أنت مخطىء ياعزيزي ..

واتخذ وجهه هيئة الجد وقال :

❁ والآن لدى زيارة أو زيارتان لبعض الأشخاص هذا المساء والطريق طويل إلى همبستيد فارجو أن تسمحا لى بالإنصراف ..

قال ذلك وتناول معطفه ، ومسدسه مشهر في وجهنا وقد حاولت وقتئذ أن أمسك مقعداً وأهوى به فوق رأسه غير أن هولمز منعنى بهزة من رأسه .. ولاحت بسمة قذرة على فم ميلفرتون وهو ينحنى أمامنا في وقاحة ويتراجع بظهره نحو الباب ثم خرج ولم تمض لحظة حتى سمعنا صوت السيارة وهى تبتعد عن المنزل .

وجلس هولمز فاقداً الحركة على مقعد قريب من المدفأة داساً يديه في جيبى بنطلونه وغرق ذقنة في صدره بينما كانت عيناه تنظران إلى لهب المدفأة في سكون ...

❁ ومر نصف ساعة دون أن ينبس بلفظة وفي هيئة الرجل الذى عقد العزم على أمر انتصب واقفا وولج غرفة نومه وبعد برهة عاد في زى رجل من العمال رث الثياب له ذقن مرسل يشبه ذقن العنزة ثم أشعل سيجار وقال وهو يهبط السلم في طريقة إلى الشارع :

❁ سأعود ياوطسون ..

ثم غاب في جوف الظلام ..

وحينئذ علمت أنه اعلن الحرب على شارلس أوغسطس ميلفرتون وعجبت من الذى اختاره للنضال ومضت بعد ذلك أيام كان يأتى فيها هولمز إلى البيت ويخرج دون أن يبدل ملابسه ودون أن يذكر لى كلمة واحدة عما وصل اليه ولكنى كنت واثقا أنه يمضى وقته في التجوال بهمبستيد وأخيرا وفي ليلة عاصفة كان الهواء يصفر في الخارج صفيراً مزعجاً رجع هولمز واتخذ مقعده بجوار المدفأة ثم انفجر ضاحكا وقال :

❁ ألم تسمع يا وطسون أن في نيتى الزواج ؟

فصحت دهشا :

❁ كلا لم أسمع من قبل .

❁ إذن فسوف تسر عندما تعلم أنى خطبت ..

❁ ومن هى السعيدة التى سوف تحظى بقربك ؟

❁ هى صاحبة العصمة خادمة مستر شارلس أوغسطس ميلفرتون !!

❁ إنك هازل ياهولمز .

❁ بل هو عين الجد .. والا ماذا أفعل كي أحصل على معلومات عن ميلفرتون :

❁ وهل نجحت خطتك ؟

لقد كانت خطوة لابد منها .. فقد ادعيت أن اسمى " سكوو " وتوصلت إلى التعرف بها وكنت كل ليلة أرافقها في نزهة ولا أتركها إلا وهى على ميعاد جديد معى وجعلت أخلق المناسبات لكى تحدثنى عن مخدومها حتى علمت منها كل ما أريد معرفته وأصبحت أعرف بيت ميلفرتون من الداخل كما أعرف بيتى ..

فضحكت مستنكرا :

❁ ولكن الفتاة ياهولمز !!

فهز كتيفه قائلا :

❁ لقد انتهت مأموريتها ياواطسون .

يجب أن تتفنن في اللعب بالورق حتى تتغلب على خصومك إنى أكره الشخص الذى يتحين الفرص لكى يغرز خنجراً حتى مقبضة من الخلف .

وكانت الريح تعصف في الخارج وتكاد تخلع النوافذ والأبواب من أماكنها فقال هولمز :

● يالله ..؟ ماأبدع هذا الجو العاصف ..

فصحت دهشا :

● ومن متى هولمز يتغزل في الجو العاصف ؟

اليوم فقط .. لأن هذا الجو يطابق غرضي .. اسمع ياواطسون إن في نيتي السطو على بيت ملفرتون الليلة .. وما أن تفوه هولمز بهذه الجملة حتى انحبست أنفاسي وشعرت بجسمي ينقح عرقا .. وكقبس من نور انبثق فجأة من السماء في ليلة داجية مظلمة مر بذهني مايترتب على السطو من مسئولية جسيمة فقلت لهولمز ..

● أستحلفك بالله أن تفكر جيدا قبل أن تقدم على ذلك ؟

وبدا العزم على وجهه وهو يقول :

● لقد فكرت في الأمر وأعرف الخطورة التي ينطوي عليها عملي ولكن دعنا نقلب المسألة على وجوهها وعندئذ سوف ترى معي أن مافكرت فيه هو الطريقة الوحيدة للحصول على الحافظة التي تحتوي على الرسائل فإذا ما تحصلنا عليها أمكننا إنقاذ أناس كثيرين شاء حظهم السيء أن تقع أسرارهم بين يدي ميلفرتون ..

❁ نعم ولكن لولا أن هذه الأسرار مخجلة ويستحقون من أجلها العقاب لما هددهم ميلفرتون بإذاعتها !

❁ هل تتذكر قول المسيح الذى معناه " من لم يأت منكم بخطيئة فليرمها بأول حجر " ؟ كل إنسان ياواطسون معرض للخطأ ولاتنس أن السطو هو السبيل الوحيد لسرقة الحافظة لأن الليدى قد وكلت الينا أمرها لعدم استطاعتها دفع المبلغ الذى يطلبه ميلفرتون وغدا هو آخر يوم حدده كى يرسل لخطيبها إيرل أوف دوفر كورث الخطابات .. وإذا لم نوفق الليلة في سرقتها فسيحل بها الخراب الذريع وأظن أنه ليس من اللائق أن أورد عميلتى موارد التهلكة ..

❁ إذن فلامفر من أن نرمى بالورقة الأخيرة .. متى سنبدأ ؟

❁ ولكنك سوف لا ترافقنى !!

❁ وأنت سوف لاتذهب أن لم أكن معك وإذا حدثتك نفسك بالسطو دوني فأعدك وعدا صادقا بأن استقل أول عربة تصادفنى وأذهب إلى مركز البوليس وأخبرهم بما أنت معتزم عليه ؟

❁ ولكن وجودك لايفيد ..

❁ ومن أدراك ؟ هل ترجم بالغـيب أو تتكهن بالمستـقـبل ؟
وعندئذ ربت هولمز على كتفى قائلا :

❁ حسنا .. فليس هناك مفر من مرافقتي .. لقد قـاسمتنى هذه الحجرة بضعة أعوام ولابأس من أن تقاسمنى السجن بضعة أعوام أيضا !!

وسكت برهة ثم قال :

❁ أنت تعـرف يا واطسون طريقة عـملي وهى أن أكـون فكرة في رأسى قـبل أنأقـدم على شيء . وبعـد أن أقلبـهـا على كـافـة نواحـيـهـا أسـيـر على نورها لأصل إلى النتـيـجـة المحتومة التى كنت أتوقعها أنظر ..

قال ذلك ومضى إلى المكتب ثم أخرج حافظة صغيرة من الجلد وفـتحـهـا فـاذا بهـا بعض آلات دقـيقـة تلمع في قـرارها .. حـافظة تكفى لقضاء بضعة أعوام بين جدران سجن انجلترا ! .

❁ هذا آخر مـاتـوصل اليـه من السـرقـة .. كـلا آلات على آخر طراز فـهذه طفاشـة وتلك لانتـزاع فصـوص الماس وهذه الآلة المدببة لسحق الزجاج وفي ركن الغرفة تجد مصباحا دهن زجاجة بلون قاتم .. كل شيء جاهز ..

وسكت لحظة ثم سألنى :

❁ هل لديك حذاء خفيف ؟

❁ عندى حذاء طالما استعملته في لعب التنس !

❁ بديع جدا .. هل عندك قناع ايضا ؟

❁ يمكننى أن أصنع زوجا من الحرير الأسود .!

فقال وهو يضحك :

❁ أرى ان لديك استعداد لأن تكون لصا من الطبقة الاولى ياواطسون ابتدىء الآن في صنع القناعين وسوف نتناول قليلا من الطعام قبل الذهاب .. إن الساعة الآن النصف بعد التاسعة وعندما تبلغ الحادية عشر نستقل عربة ونذهب إلى " تشيرس رو" والمسافة بينها وبين إبليدو تاورز نقطعها سيراً على الأقدام في ربع ساعة وسوف نبدأ عملنا قبل منتصف الليل .. لقد قالت لى الخادمة أن ميلفرتون يذهب إلى فراشه في العاشرة والنصف من كل ليلية وهو يمتاز بالنوم العميق وسوف نبذل جهدنا كى نصل إلى هنا قبل الساعة الثانية صباحا وستكون معنا خطابات الليدى إيفا براكويل ..

وارتدينا ثيابنا حتى كان من يرانا وقتئذ يعتقد أننا كنا في سهرة ممتعه وأوقفنا عربة في شارع أكسفورد وذكرنا للحوذى

عنوانا بهامبستيد وبعد أن وصلنا صرفنا العربة ورفعنا ياقتى معطفينا لنتقى شدة البرد وقطعنا الطريق على أقدامنا إلى ابليدرو تاورز وفي الطريق قال هولمز .

❁ إنه عمل يحتاج لشىء من الكياسة والحكمة والحذر لأن هذه الرسائل يحفيها ميلفرتون في مكتبه ولابد للوصول إلى المكتب من المرور بالردهة أولا ثم بغرفة نومه ثانيا .. ولاتنس أن نومه تقيل حتى أن خطيبتى العزيزة صرحت إلى مرة أنها لو أطلقت مدفعا في الردهة لما استيقظ هذا الرجل الكسول ولميلفرتون سكرتير شاب لايفارق غرفة المكتب نهارا ولذا فضلت السطو ليلا وفي الحديقة كلب هائل أحضره ميلفرتون لحراسته .. وقد قابلت أجاثا في الليلتين السابقتين واتفقت معها على حبس الكلب لكى يتيسر لى الحضور اليها دون أن يفضحنى بنباحه ثم أشار إلى بيت كبير جاثم في الظلام الدامس وقال :

❁ هذا هو البيت ، وهو كما ترى أكبر بيت في الناحية .. والآن يستحسن أن نضع القناعين على وجهينا .. إن الحظ يساعدنا ياواطسون فنوافذ البيت كلها مظلمة وكل شيء على مايرام ...

وماأن أخفينا وجهينا تحت القناعين الحاكمين حتى انقلبنا من

رجال شرطة محترمين إلى مجرمين عريقين في الأجرام مختصين في السطو على المنازل ثم تسللنا بقلوب واجفة داخل البيت وكانت بجانبنا فيراندا طويلة تمتد من أول البناء إلى آخره وبها منافذ متعددة وبابان ..

وهمس هولمز في أذنى :

* هذه هى غرفة النوم .. وهذا الباب يقود مباشرة إلى غرفة المكتب وهو مغلق بعارضة حديدية من الداخل وسوف نحدث ضجة هائلة اذا حاولت فتحة .. اقترب هنا .. هذا الباب يقود إلى غرفة الإستقبال .

وكان أيضاً موصداً فأخرج هولمز شيئا من محفظتة الصغيرة وأدخله في ثقب المفتاح وجعل يحرك برهة انفتح الباب على أثرها فدلفنا إلى الداخل واغلقنا الباب خلفنا ..

وهكذا أضحينا لصوص من الطراز الأول في نظر الناس والقانون !!

وفي الظلام الكثيف امسك بى هولمز من ذراعى وجعلنى أتبع وهولمز له قدرة عجيبة في السير في الظلام مهما كان حالكا ودامسا وفى بطء شديد فتح بابا مرقنا منه فوجدنا انفسنا . في حجرة واسعة كانت رائحة دخان السجائر والطباق تعبقها وجعلنا

نشق طريقنا وسط قطع الأثاث الجاثمة أمامنا كالأشباح حتى بلغنا بابا آخر فتحه هولمز وبعد أن دخلنا منه أغلقه خلفه دون أن يحدث ضجة وبينما أنا أتحسس في الظلام لمست يدى عفوا بعض ملابس معلقة على كشجب فعلمت أننا في ممر اجتزناه وفي بطء أيضاً فتح هولمز بابا آخر على يمينه وما كاد يفعل حتى احسسنا بشيء يندفع صوبنا فكادت تقف نبضات قلبى خوفا وارتعابا ولكنى كتمت ضحكة عندما علمت أن ذلك الشيء ليس إلا قط !

وكانت المدفأة لاتزال موقدة في الحجرة وكان الجو مثقلا برائحة الدخان والطباق . ودخل هولمز على أطراف أصابعه ثم انتظر حتى بلغته وأغلق الباب وكانت هذه الغرفة هى مكتب ميلفرتون وكان الباب الذى يقود إلى مخدعة يقع في نهايتها وإلى جانب المدفأة كانت تمتد ستارة سميكة من القطيفة القاتمة تغطى النافذة التى رأيناها من الخارج وبجوارها الباب المؤدى إلى الفيرندا ..

وفي وسط الحجرة شاهدنا مكتبا كبير الحجم وخلفه مقعد يناسبه يدور حول نفسه من الجلد الأحمر بينما في الناحية المضادة وجدنا رفا كبيراً قد رصت عليه الكتب رصا بديعا وفي الزاوية التى بين الرف والحائط رأينا خزانة حديدية كان ينعكس عليها .

ضوء بصيص من النور المنبعث من المدفأة فاقترب هولمز منها وجعل يفحصها برهة ثم زحف إلى باب الحجرة التى يرقد فيها

ميلفرتون ملك الفضائح وأدنى أذنه من ثقب المفتاح وأصاخ السمع فوجد كل شيء ساكنا يدعو إلى الإطمئنان غير أنى في الوقت نفسه أشفقت أن يفاجئنا احد من باب الفيراندا فاقتربت منه ولشدة دهشتى وجدته غير موصد لابالقفل ولا بالعارضة الحديدية فلمست ذراع هولمز واشرت له على الباب فدنا منه ودهش هو الآخر ثم همس في اذنى قائلا :

❁ قف بالقرب من الباب وعندما تسمع أقل حركة ضع العارضة الحديدية خلفه وفي استطاعتنا وقتئذ أن نعود من حيث أتينا واذا حدث وفوجئنا من الباب الآخر فيمكننا الهرب من باب الفيرندا هذا إذا كنا قد تمكنا من الحصول على الخطابات أما إذا لم نكن قد تحصلنا عليها بعد ففي استطاعتنا أن نختفى خلف الستار السميكة التى تغطى النافذة .. هل فهمت !!

فأومأت برأسى علامة الإيجاب ووقفت بجوار الباب وأنا أحس بدماء المغامرة تسرى في عروقى كالزئبق المصهور ونسيت إلى حدما الخطورة التى ينطوى عليها عملنا وجعلت كل همى هو الحصول على هذه الرسائل مهما حدث حتى تمنع فضيحة كبرى تكفى للقضاء على سمعة سيدة لها قيمتها في الهيئة الاجتماعية وهى الليدى إيفا براكويل ...

وجعلت أرقب هولمز بعين المعجب وهو يخرج محفظته الجلدية الصغيرة وينتقى منها آلة رفيعة كأنه جراح ماهر على وشك اجراء عملية جراحية خطيرة وخلع سترته وشمر ساعديه وأعمل الآلة في القفل ، بينما وقفت أنا وقد تحول همس إلى اذان تصغي وعيون ترى وبعد نحو نصف ساعة طرقت أذنى تكة خفيفة رأيت على أثرها باب الخزانة الأخضر وهو يفتح ولفت نظرى رباطات الرسائل بداخلها وكل رابطة مبصوصة بالشمع الأحمر .

وأمسك هولمز برابطة منها وحاول قراءة ماكتب عليها ولكن بصبص النور المنبعث من المدفأة لم يكن كافيا فأدنى مصباحه ذا اللون المظلم منها .. وفجأة رأيته يغلق باب الخزانة الحديدية بسرعة ويرتدى سترته ويضع الآلات الدقيقة في الحافظة ويتوارى خلف ستار النافذة وهو يشير إلى بأن أفعل مثله ..

وما أن أخذنا مكانينا خلف الستار السميكة حتى سمعت عندئذ فقط حركة غريبة تدور داخل المنزل صوت باب يصطفق ثم وقع أقدام خفيفة تليها همهمة لم نتبينها ودفع فجأة الباب المطل على الممر ثم غمر الغرفة سيل باهر من النور .. ثم أغلق الباب واحسسنا في معاطفنا برائحة دخان سجاير وسمعنا وقع أقدام تخفت ثم تستقر ..

وأزحت فرجتى الستار بعضهما عن بعض عندما طرق اذنينا قرقعة أوراق !!

كان قلبى يصل إلى حلقومى من هول مارأيت !!

كان شارلس اغوسطس ميلفرتون جالسا على المقعد الجلدى أمام المكتب موليا ظهره العريض لنا والظاهر اننا اخطأنا في تقدير ساعة نومه لأنه لم يدخل أو يخرج مخدعه قط ويحتمل أنه كان جالسا في حجرة التدخين أو البليارد التى تقع في الجناح الآخر من البيت ولذا لم نر نافذتها وهى مضاءة !!

وكان رأس مليفرتون الأصلع يبرق تحت ضوء النجفة التى تتوسط سقف حجرة المكتب وفي فمه سيجار ضخم تنبعث منه سحب الدخان في حلقات كبيرة متصلة وكان ممسكا بين يديه بأوراق يقرؤها بينما بسمته الشنيعة لاتفارق شفتيه الغليظتين .

كانت نظرة واحدة منه نحو الخزانة المثبتة في الركن تكفى لأن يفهم كل شيء رغم أن هولمز قد أدار درفتها الحديدية قبل أن يختفى خلف الستار وكنت مصمما أنه لو حدث واكتشف ميلفرتون الأمر أن ألقى بمعطفى على وجهه حتى أعوقه عن الحركة وعلى هولمز أن يقوم بالباقى .

ولكن ميلفرتون لم ينظر إلى الخزانة اذ كان منهمكا في قراءة الأوراق التى كانت بين يديه وكنت اعتقد أنه إمجرد انتهائه من القراءة وتدخين سيجارة سوف يأوى إلى مخدعة ولكنه قبل أن

ينتـهى من شىء ألقى نظرة سـريعـة على السـاعـة التى تطوق معصمه ثم انتصب واقفا لحظة ثم عاد إلى الجلوس في حركة تدل على أنه ينتظر زيارة أحد . ومضت لحظة طويلة مملة سمعنا بعدها حركة خافتة تصدر من الفيراندا فأخفى ميلفرتون الأوراق التى كان يقرؤها واعتدل على مقعده .

وتكررت الحـركـة ثم سـمـعنا طرقـة خـفـيـفـة عل البـاب فـقـام ميلفرتون ليستقبل القادم .. بل القادمة وهو يقول :

● حسنا لقد تأخرت عن ميعادك بما يقرب من نصف ساعة ؟!

وعندئذ فـهمت السـبب الذى ترك من أجلة باب الفيـراندا دون أن يوصده بالقفل أو أن يثبت العارضة الحديدية خلفه ..

وعندما أصبح وجه ميلفرتون لنا كنت قد ضممت شقى الستار لأخفى الفرجة التى أصوب نظرى منها ثم عدت إلى فتحها عندما جلس إلى مـقـعـده أمـام المكتب وأرسلت بصرى نحـو الزائرة التى تجلس أمامه ..

كانت طويلة القامـة سمراء البشرة تحجب وجهها بقناع اسود وترتدي ثوبا جميلا يدل على حسن ذوقها موشى بالدانتلا وكان صدرها البارز يعلو ويهبط في سرعة ويداها تعبثان بعضهما في بعض في انفعال شديد .

وتكلم ميلفرتون وهو يلوك سيجاره الكبير في ركن فمه :

❁ حسنا .. لقد ضحيت بميعاد هام من أجلك ولا أدرى إذا كنت تستأهلى هذه التضحية من جانبى أم أننى أخطأت ؟ ألم يمكنك الحضور في وقت آخر ؟

فهزت السيدة رأسها بالنفى بينما عاد هو يقول ..

❁ فليكن إذا .. إذا كانت الكونتس في غاية الشدة فيمكنك تسوية الأمور معها فيها بعد ..

وسكت لحظة ثم سألها وهو يتفرس فيها :

❁ ولكن لم أرك ترتجفين يافتاتى ؟ تجلدى واجمعى شتات نفسك .. هذا حسن والآن دعينا نتكلم فيها جئت من أجلة

وأخرج مفكرة من درج مكتبة ألقى عليها نظرة ثم قال :

❁ تقولين في رسالتك إنه لديك خمسة خطابات خاصة بالكونتيس ألبرت وتريدين بيعها وأنا أريد شراءها ولايبقى سوى أن نتفق على الثمن ولكن قبل كل شيء يجب أن أطلع عليها حتى أقدر أهميتها بالنسبة لى ...

وقطع ميلفرتون حديثه فجأة وصاح :

❁ يا إله السماوات .. أهذا أنت ؟

وجعل يحملق في السيدة التى رفعت القناع فبدا خلفه وجه اسمر حاد الملامح به أنف معقوف وحاجبان سوداوان فوق عينين يشفان بريق هائل ينجلى فيه قوة الأرادة والعزم وفم منفرج عن بسمة شيطانية مرعبه .

وصاحت السيدة أخيراً :

❁ نعم أنا .. أنا المرأة التى حطمت حياتها .. التى قذفت بها في الأوحال !!

وضحك ميلفرتون ضحكة مصطنعة يحاول فيها أن يخفى الرعب الذى تملكه وقال :

❁ لقد كنت دائما عنيدة لقد طلبت منك مبلغا غير أنك لم توافقى عليه ..

❁ وعندئذ بعثت برسائلى إلى زوجي .. إلى أشرف وأنبل رجل على ظهر السفينة .. كنت أنت السبب في تحطيم قلبه وتلطيخ شرفه .. واخيرا كنت السبب في تدهور صحته وموتة .. هل تتذكر تلك الليلة الاخيرة عندما دلفت من هذا الباب وجعلت أتوسل اليك باكية واستعطفك راجية أن تشملنى برحمتك وأنت تضحك أمامى كما تضحك الآن .. ولكن شتان بين الضحكتين

تدل على الظفر والاستهتار والعناد أما الآن فأنت تضحك محاولا اخفاء جبنك وخوفك . أنظر أن شفتيك ترتعشان ووجهك يمتقع .. نعم .. لم تكن تتوقع أبدا رؤيتى هنا .. ولكن ليلتنا الاخيرة هى التى علمتنى كيف استطيع أن أصمد امامك واقف هذه الوقفة .. وعلى انفراد .. حسنا ماذا عندك لتقوله ياشارلس اوغسطس ميلفرتون .. يا أدنأ رجل في لندن بل في العالم بأسره .. ياملك الفضائح .. ياأقذر حشرة في الوجود!!

وكانت المرأة تهتز عقب كل كلمة تنطق بها من فرط انفعالها وغضبها بينما اتخذت هيئة ميلفرتون صفة الصلابة وانتصب واقفا قبالها وقال :

❁ لا يتطرق إلى ذهنك السقيم أننى أخدع بهذه السهولة إن في امكانى أن أرفع صوتى ولايلبث أن يهرع إلى خدمى فآمرهم بالقاء القبض عليك .. ولكنى سوف اصفح عن كل الإهانات القذرة والنعوت التى شاء لسانك القبيح إلصاقها بى . فأخرجى من الباب الذى دخلت منه حالا ..

فوضعت المرأة يدها في خصرها وارتسمت على فمها ابتسامة الموت وصاحت في وجهه :

❁ سوف لاتخرب حياة بعد ، كما خربت حياتى .. فسوف

لاتحطم قلبا كما حطمت قلبي .. سوف لاتفضح أحدا بعد اليوم بعد أن فضحتني .. سوف أخلص العالم من شرورك ودناءاتك أيها الكلب الحقير القذر .. خذ .. خذ .. خذ .

وكانت قد أخرجت من حقيبة يدها مسدسا صغير الحجم وأطلقت منه الرصاصة تلو الرصاصة في صدر ميلفرتون الذى سقط على أرض الغرفة يتخبط في دمه وهو يصيح في صوت متحشرج ..

● لقد قتلتني يا ملعونة !!

ووقفت المرأة تراقبه برهة وعندما تأكدت من خمود حركته اندفعت نحو باب الفيراندا الذى دخلت منه وولت الأدبار !

كان في قدرتنا منع ماحدث ولكن أصابع هولمز التى شعرت بها تتفرس في زراعى منعتني وفي الواقع فقد جاءت هذه الحادثة طبق رغبتنا .

وما أن أختفت السيدة حتى وجدت هولمز يسرع إلى باب الحجرة الثاني ويوصده بالمفتاح وسمعنا في الوقت نفسه وقع أقدام تهرول نحونا وفي سرعة البرق اقترب هولمز من الخزانة ففتح بابها وأمسك بكلتى يديه جميع رباطات الرسائل والقاها في نيران المدفأة حتى أصبحت الخزانة فارغة وسمعنا بعدئذ وقع

الأقدام تقترب ثم الخدم وهم يطرقون الباب وتلفت هولمز حوله وأخذ الخطاب الذى كانت قد ارسلته القاتلة إلى ميلفرتون تحدد له فيه ميعاد المقابلة وأخفاه في جيبه ثم خلع المفتاح من ثقب باب الحجرة الثانى وأغلق به الباب الذى يقود إلى الخارج ثم همس في أذنى بسرعة :

* من هذا الطريق ياواطسون .. سنعبر سور الحديقة .. ولا أدرى كيف ابتعدنا عن البيت وإنما الذى أدريه هو أننى عندما نظرت خلفى وجدت نوافذ البيت كلها مضاءة وباب الشارع يفتح ورأيت أشباحا تروح وتغدو بسرعة واكتظت الحديقة بالناس وانبعثت الحياة في المنزل من جديد !!

وفجأة رأيت شخصا يقف في الفيراندا ويصوب بصره نحونا ثم يهبط بسرعة فقلت لهولمز الذى بدا لى أنه يعرف الطريق حق المعرفة فجذبنى من يدى واخترق طريقا وسط الحشائش ونحن نسمع خطوات الرجل الذى يعدو خلفنا .. واعترضنا حاجز يرتفع نحو ست أقدام فتخطاه هولمز وبينما أنا أفعل مثله شعرت بيدى الرجل تمسكان برسغ قدمى غير أنى دفعته بها في صدره وتخلصت منه واقتفيت أثر هولمز وأنا الهث ..

وأخيرا وصلنا إلى كنيسة همبستيد .. وكنا قد قطعنا ميلين عدوا ونجونا من الرجل الذى كان يجرى خلفنا .. وأصبح كل شىء خلفنا ساكنا هادئا ..

تناولنا طعام الإفطار في منزلنا الصغير ببيكر ستريت وجلسنا ندخن عندما طرق الباب ففتحته مسز هدسون معلنه قدوم المفتش ليستراد التابع لإدارة سكوتلانديارد .

وكان من المعجبين بذكاء هولمز وطرقه في البحث والاستقصاء وكثيرا ما طلب منه يد المساعدة في حل بعض القضايا العويصة التى كان يناط به تحقيقها .. قال :

❁ نعمت صباحا يامستر هولمز .. هل لى أن أسألك عما إذا كنت مشغولا الآن ؟

❁ لست مشغولا لدرجة تمنعنى من سماع حديثك ..

فأجاب ليستراد في صوت يخالجة اليأس :

❁ لقد ظننت أن في استطاعتك مساعدتى في حادث همبستيد الذى حدث أمس ..

فتصنع هولمز الدهشة ورفع حاجبيه قائلا :

❁ ماذا حدث ياليستراد ؟

❁ جريمة قتل . ولما كنت أعرف أنك ولوع بالقضايا الغامضة وهذه القضية من النوع الذى تحب فقد جئتك آملا مساعدتى .

❁ ماذا حدث بالاختصار .. إننى لم أسمع شيئا عنها إلا منك الآن ؟

❁ إنها قضية عويصة ومحيرة في نفس الوقت فقد وجدنا مستر شارلس اوغسطس ميلفرتون مقتولا .. بالطبع أنت تعرفه وتعرف حيله التى يبتز بها المال بالتهديد بإذاعة الفضائح لدرجة أنه أطلق عليه " ملك الفضائح " ولم يختف شيء ذو قيمة اللهم إلا حزم الرسائل التى كان يحتفظ بها في خزانتة الحديدية ويظهر أن القتلة ألقوا بها في نيران المدفأة ليمنعوا فضائح كانت على وشك أن تذاع

❁ تقول القتلة .. اذن فليس القاتل واحداً ؟

❁ نعم .. وهم في الغالب اثنان وعندنا آثار حذاءيهما وأوصافهما فالأول طويل القامة أنيق الملبس نحيل الجسم والآخر وكان يعدو خلفه البستانى محاولا اللحاق به وكاد يطبق عليه لولا أن هذا رفسه بقدمه رفصة أصابت صدره وألقته على الأرض فهو متوسط القامة متين البنيان غليظ العنق له شارب صغير ..

فقال هولمز وهو يبتسم :

❁ إنك على حق فهى قضية غامضة .

ثم قال مازحا ..

❁ ولكن الأوصاف التى ذكرتها على الرجل الآخر تنطبق على واطسون !!

وعندئذ جف حلقى ووقفت نبضات قلبى من مزحة هولمز الثقيلة ولكنى سمعت ليستراد يضحك ، والظاهر أنه أعجب بالنكتة فقال :

❁ نعم لم اكن ادر انها تنطبق عليه هكذا ..

❁ آسف ياليستراد لأنى لا أستطيع مساعدتك والسبب هو أننى اعرف شارلس اوغسطس ميلفرتون حق المعرفة وأعتبره حشرة قذرة في لندن وأحمد الله على أنه يتغاضى عنها بل وينبغى أن يترك للقاتل فرصة الفرار مادام الله عز وجل قد بعثه من لدنه لينفذ عدله الإلهى على يديه .. كلا لاتعارضنى .. لقد عولت على ألا أمد يدى في هذه القضية فلا تغضب ..

وخرج ليستراد غاضبا يائسا بينما جلس هولمز دون أن ينبس ببنت شفة وكان يفكر تفكيرا عميقا وفجأة عندما كنا نتناول طعام الغذاء هب واقفا وصاح بى :

❁ لقد وجدتها ياواطسون .. لقد وجدتها .. ارتد ملابسك

بسرعة وضع قبعتك فوق رأسك .

وبعد أن فعلت قال :

* تعال معى ...

واخترقنا شارع بيكر ثم انحدرنا إلى شارع أوكسفورد حتى بلغنا (ملهى ريجنت) ووقف هولمز أمام لوحة بلورية كبيرة قد رصت خلفها صور الممثلات والراقصات وكنت أتابع نظراته فوجدتها تجول في الصور لحظة ثم تستقر على صورة كان يبحث عنها .. كانت صورة سيدة ترتدى ملابس اللعب وتربط رأسها الاسمر بشريط ملون مثبت به قطعة نادرة من الماس .. وكان أنفها معقوقا ماكدت ألقى عليها نظرى حتى عرفت من هى .. وتذكرت اسم زوجها النبيل الذى مات حسرة وكمدا منذ بضعة شهور !!

لقد انتقمت لزوجها .. ولنفسها .. بل وللعالم أجمع !!

والقيت عيناى بعينى هولمز الذى وضع أصبعه على فمه محذرا أن أبوح بكلمة لمخلوق ..

ثم ابتعدنا عن الملهى !!

حيلة جهنمية !!

ك

كنت متكئاً على افريز النافذة أرقب حركة المارة في الطريق وكان صديقى مستر شرلوك هولمز جالسا أمام مكتبه يتصفح جرائد الصباح غير انه

مالبث أن هتف باسمى فأدرت رأسى من فوق كتفى ورأيتة يقول وهو يبتسم .

❁ لست ادرى ياواطسون لم أشعر هذه الأيام بكسل شديد يعترى كل اعضائى .. يخيل إلى أن نجمى قد بدأ يأفل وأن عهد الجرائم المعقدة والمشاكل العويصة قد تولى وحان الوقت الذى يضطرنى إلى الجلوس في عقر بيتنا الصغير بشارع بيكر أصطلى نيران المدفأة المتوهجة منتظراً دخول سيدة تبحث عن كلب ضائع أو قط خمش وحيدها أو رجل سقط منه كيس نقوده عندما كان يركب العربة ..

فدهشت لهذه المحاضرة الطويلة التى لم أكن أتوقعها ويظهر أن شعورى ظهر على وجهى إذ لم يلبث هولمز أن قال :

❁ يخيل إلى أنك غير مقتنع بما أقول !

فأومأت برأسى وقلت :

❁ إننى في الحقيقة أدهش لقولك .. ولكن ما الداعى الذى حفزك إلى هذا الظن ؟

ولم يجب على سؤالى بل تناول خطابا من فوق المائدة وقدمه لى .وكان الخطاب مرقوما بتاريخ الأمس وقد ظهر ختم البريد على مظروفه يحمل اسم بلدة (مونتاج) وقرأته فاذا به :

حضرة المحترم شرلوك هولمز

بحثت عن عمل مدة طويلة وأخيراً وفقت اذ عرضت على وظيفة مربية وسوف أتشرف بمقابلتك غداً في منتصف الساعة الحادية عشر صباحا لاستشارتك في الأمر قبل القبول أو الرفض.

وتقبل تحياتى .. فيولت هانتر

فسألتة وأنا ألقى نظرة خاطفة إلى ساعتى :

❁ ولكن هل تعرف من هذه فيوليت هانتر ؟

❁ كلا .

وما كاد ينتهى من كلمته حتى سمعنا طرقا على الباب الخارجى فقلت وأنا أتأهب لفتحه :

❁ ومن يدريك ياهولمز لعل هذا الحادث التافه قد يتمخض عنه جريمة معقدة محبوكة .

وما أن فتحت الباب حتى دخلت فتاة في مستهل عمرها ترتدى ثيابا أنيقة رغم بساطتها ورخص ثمنها تدل ملامح وجهها النضير على العزم وقوة الارادة .

وبعد أن قدم اليها هولمز مقعداً عرفته بنفسها فاذا هي صاحبة الخطاب الذى كنا نتحدث عنه قبل مجيئها وعنئذ طلب منها هولمز أن تفضى اليه بكل مايقلق بالها ثم تمدد على مقعده الطويل وأغمض عينيه وأشبك أصابع يديه بعضهما ببعض على صدره شأنه كلما أراد الاصغاء ولكن من لايعرفة يظن أنه في سبات عميق .

وابتدأت مس فيولت هانتر قصتها قائلة :

* لقد كنت أقوم بتربية أولاد الكولونيل سبنس مترو الذى نقل الآن إلى هاليفاكس وبعد سفره مرت على شهور طويلة وأنا أبحث عن عمل أقتات منه ولكن ضاعت جهودى سدى وشاء الحظ أن أقابل صديقة قديمة نصحتنى بالإلتجاء إلى محل " واستاواى " الذى أنشىء خصيصا للتوظيف ففعلت وكنت أمر عليه كل أسبوع مدة طويلة حتى كان الاسبوع الماضى اذا استدعتنى " مس ستونر " مديرة المحل وعندما دخلت غرفتها لم تكن وحيدة بل كان معهل رجل ضخم الجسم باش الوجه منتفخ الخدين يضع

على عـينيـه الحـمـراوين نظارة ذهبـيـة مـا كـاد يرانى هذا الرجل حتى قفز من فوق مقعده وهو يصيح في صوت ملؤة الفرح :

* هذه هى التى أريدها يامس ستونر ...

وكأنما خشى أن يكون قد أقدم على عمل يغاير اللياقة فتمالك نفسه وتكلف الهدوء وسألنى في رقة :

* هل تبحثين عن عمل يا آنسة ؟
* نعم ياسيدى .
* وكم أجرك ؟
* كنت أتقاضى أربعة جنيهات شهريا عند الكولونيل سبنس متور فرفع حاجبيه الغليظ في دهشة وقال :
* ياللـه .. ياله من ظالم .. فـتـاة مـثلك تتـقـاضى هذا المبلغ التـافه .. اسمعى يافتـاتى سوف أناولك مائة جنيه سنويا على أن تقومى بتربية طفلى الصغير .

وعقدت الدهشة لسانى وخلت نفسى حالمة ولم أصدق كلمة واحدة مما سـمـعـتـه أذناى وجعلت أحملق في هذا المعتوه الذى يعرض على مائة جنيه سنويا مقابل هذا العمل العادى وكان هو

منهمكا في اخراج محفظتة الضخمة من جيبة ومالبث أن أعطانى ورقة مالية فئة الخمسين جنيها قائلا :

❁ لك أن تبتاعى بهذا المبلغ مهماتك ولوازمك قبل تسلمك العمل .

فسألته عن عنوان المنزل فأجاب :

انه بالكوبربيتس .. في هامب شير .

ولعل أغرب ما فى قصتى يامستر هولمز هو قولة بأنى ألبس الثياب التى يقدمونها إلى وأن أقص شعرى قبل البدء في العمل!

لم أدر ياسيدى معنى هذه الطلبات الغريبة وانفرض جدلا أننى تغاضيت عن طلبه فيما يختص بالملابس ولكن قص شعرى ماشأنه بالوظيفة التى سوف أشغلها .

وتضاربت هذه الأفكار في رأسى فرفضت هذا الطلب الأخير غير أنه عاد يفهمنى أن هذه طلبات زوجته وان طلبات النساء مقدسة ويجب أن ينفذها .

لاأطيل عليك ياسيدي فكررت رفضى ازاء هذا الشرط الأخير وعدت إلى منزلى بعد أن رددت اليه مبلغ الخمسين جنيها الذى أعطانى اياها ولكن لما وصلت إلى المنزل حتى جعلت أعض بنان الندم على عدم قبولى ورحت أنعت نفسى بالحمق والطيش ولم أنم

طول الليل إذ ظل شبح المائة جنية يغريني ويتلاعب أمام عيني فعولت أخيراً على الرجوع إلى مس ستونر في اليوم التالي ولكن قبل خروجي في الصباح ورد لي خطاب من نفس الرجل وهاهو ذا.

وأخرجت خطابا من حقيبتها وقدمته إلى هولمز بينما وقفت أنا خلفه فاذا فيه :

كوبريتس .. هامبشير

" عزيزتي مس هانتر

لاتدهشي لورود هذا الخطاب فقد أخذت عنوانك من مس ستونر مديرة محل " واستاواي " وأما السبب الذي من أجله حررت هذا اليك فهو قد تكونين تحولت عن عزمك وعندما أخبرت زوجتي بأمرك أبدت رغبة شديدة لرؤيتك عندما وصفتك لها ونحن على أتم استعداد لاعطائك مبلغ ١٢٠ جنيها سنويا على أن تقبلي الشرط الأخير وأما من جهة الثياب فلا تكبدي نفسك مشقة شرائها فعندنا ما يكفيكي من ثياب ابنتنا الكبرى التي تقيم الآن في فيلاديلفيا ولكن زوجتي تفضل الملابس الزرقاء على غيرها من الالوان فأرجو عند قبولك اخطاري عن ميعاد حضورك كي أنتظرك ونشتر بالعربة .

وبعد أن إنتهى هولمز من قراءته سألته قائلة :

* والآن مارأيك ياسيدي ؟ هل أذهب ؟

ففكر هولمز برهة ثم قال :

* لو كانت لى أخت في مثل مركزك لنصحتها بعدم الذهاب

* وماذا تريبامستر هولمز في هذه الشروط الغريبة ؟

* انها شروط مريبة فضخامة المرتب تثير الشك اذ كان في استطاعتهم أن يدفعوا لأى فتاة أخرى اربعين جنيها في السنة فقط مقابل القيام بأتفه الخدمات فلابد من سبب عظيم يدعوهم إلى اختيارك دون سواك .. وعلى كل حال اكتبى للمستر روسل بالقبول وقص شعر رأسك وسافرى وتيقظى جيداً إلى مايحدث حولك وإذا شممت رائحة خطر يتهددك فابرقى إلى .

فوافقت الفتاة وانصرفت ..

ومضى على هذا الحادث أسبوعان ونحن لاننفك نفكر فيما حل بالفتاة وهل نالها خطر أو كان ماتوهمناه لها ليس له أى أساس وماهى إلا مجرد شكوك لاصحة لها .

وذات ليلة بينما كنت على وشك الدخول إلى العربة المخصصة

لنومى إذا بطارق يطرق الباب الخارجى ثم لم تلبث أن دخلت مسز هدسون وفي يدها برقية ناولتها لصديقى هولمز الذى كان وقتئذ يجرى بعض تجاربه الكيماوية التى اعتاد القيام بها عندما يحسن بأنه في غير حاجة إلى النوم ..

ومزق هولمز الغلاف الأصفر وقرأ البرقية في صوت عال :

"سأنتظرك ظهر غد في فندق الحصان الأسود بونشتر ، هانتر"

وبعد أن تحادثنا قليلا في أمرها عزمنا على السفر إليها في اليوم التالى بقطار الساعة التاسعة والنصف الذى سيصل إلى ونشتر بعد ساعتين ..

وفي الساعة الحادية عشرة كان القطار ينساب كالأفعى وسط المناظر الطبيعية الجميلة والوديان التى تتألق بالزهور الفياحة وتقوم على جوانبها الدوح العظيمة متفرعة الأغصان وقد انتشرت العصافير عليها تزقزق ألحان الخلود وأناشيد الأبد .

وكان هوامز جالساً أمامى في المقصورة وبجانبه كوم من الصحف والجرائد التى ابتاعها من المحطة ليقطع بها الوقت ولم ينبس طول الطريق ببنت شفة حتى إذا وقف القطار في المحطة المقصودة ترك قراءة الصحف جانباً ونزلنا قاصدين فندق الحصان الأسود الذى نوهت عنه مس هانتر في برقيتها ..

ولم تجد صعوبة كبيرة في الوصول إلى مكانه فوجدنا مس هانتر قد حجزت لنا حجرة مريحة تتوفر فيها كل مانحتاج إليه لمدة قصيرة .

وكان يبدو على وجه الفتاة علامات الخوف الشديد والانفعال الممتزج بالرهبة فما أن رأتنا حتى هتفت وقد عاد إلى وجهها المرح والإطمئنان ..

❁ مستر هولمز .. أحمد الله لقد أتيت .. لقد كنت جد خائفة من عدم حضورك .

فابتسم هولمز وقال وهو يربت على كتفها :

❁ إنك لاتعرفين هولمز يافتاتى .. إن هولمز إذا وعد وفي بوعده لايعوقة عائق مهما كان .

فأجابت الفتاة على قوله بابتسامة رقيقة كانت هى كل ماتملك حينئذ .وكأنما وجدت علينا آثار التعب من جراء السفر فلم تبتدىء قصتها حتى استرحنا قليلا وكان هولمز قد أخرج غليونه العتيد وجعل ينفضه على حافة حذائه ثم ملأه بالتبغ وأشعله وطفق يدخن في لذة وسكون .

وأخيرا قال :

❁ والآن يامس فـيـوليت هانتـر أرجـو أن تتكرمى بسـرردكل ماحدث لك بالتفصيل منذ أن حضرت إلى هذه الجهة ..

فلزمت الفتـاة الصمت برهة كـأنما تسـتـرجع شـوارد ذهنهـا ثم ابتدأت قائلة :

❁ استـقبلنى مستـر روكـاسل بالقرب من المحطة وسـألنى أن أصعد إلى العربة التى كان يجهزها لمقدمى فأطعته حيث قادنى إلى منزله في كوبر بيتس وما أن دلفنا إلى البيت حتى قدمنى إلى زوجتة البدينة وعـرفنى بطفلة الصـغير وقد لاحظت أن مسز روكاسل كثيرة الصمت يعلو وجهها شحوب غريب رغم كونها لا تتجاوز الثلاثين من عمرها وعلمت منها أثناء الحديث أنهما متزوجان منذ سبعة أعوام وإن مستر روكاسل كان متزوجا قبلها من امرأة ماتت بعد أن أنجبت منه ابنة تقيم في فيلاديلفيا وعندما سألته عن السبب الذى دعا لانفصاله عن ابنتـه أجابنى بأنها تمقت زوجتـة الحاليـة مقتـاً شـديداً كـأنما هى تغـار منهـا إذ أصبحت تحتل قلب أبيها مكان أمها وخوفها من حدوث مشـاغبـات بينهـما تعكر صـفو الحـياة فـضل ابعـادهمـا بعضهمـا عن بعض .

ورغم ملاحظتى أن الزوجين يتمتعـان بحب متبادل إلاأننى

لاحظت أن الزوجة تبطن في أعماق نفسها سراً خفيا تحرص على كتمانه لأني كثيراً ما فاجأتها تبكى عندما تخلو إلى نفسها . غير أن الذى أثر في نفسى تأثيراً سيئاً هو سلوك الخدم وهما اثنان رجل شرس متوحش لايكاد أى شخص يراه حتى يشعر بالكره نحوه وهو علاوة على ذلك سكير يدمن الشراب ويدعى تولر أما زوجته فهى طويلة القامة مفتولة العضل ضخمة الجسم قليلا ماتبتسم ونادراً ماتتكلم ..

وفي اليوم الثالث لوجودى وسط هذه الأسرة كنا نتناول طعام الإفطار عندما همست مسز روكاسل في أذن زوجها شيئا لم أسمعه غير أنه مالبث أن ابتسم إلى قائلا :

* نحن نشكرك يامس هنتر على قص شعرك كما طلبنا منك والأن دعينا نرى ما إذا كان الثوب الأزرق الملقى فوق فراشك يوافقك أم لا ؟

وبعد أن إنتهينا من تناول الأفطار دلفت إلى مخدعى فرأيت الثوب وأدهشنى زرقته الفاقعة وغرابة شكله الإجمالى وكان يبدو عليه أنه سبق استعمالة وعندما لبسته وجدته ملائما لجسمى كل الملاءمة كأنه فصل خصيصاً من أجلى ولا أطيل عليك ياسيدى إننى رضخت لإرادتهما وإرتديته .

وعندما وجدانى فيه رأيت نشوة السرور والفرح قد إرتسمت على وجهيهما بينما صاح روكاسل لزوجتة في صوت مرح وهو يصفق :

❁ ألم أقل لك ياعزيزتى إنه لا يصلح إلا هى في هذه .

وقطع جملته عندما أرسلت إليه زوجته نظرة لوم وتأنيب ثم قام إلى مقعد أمام النافذة الردهة اليسرى بحيث يكون ظهرى إليها ثم جعل يقطع أرض الصالة جيئة وذهابا وهو ينثر النكت المضحكة والقصص المرحة حتى لهثت من كترة الضحك بينما كانت زوجته تكتفى بالإبتسام من وقت لآخر . وبعد نحو ساعة أمرنى بخلع الثوب الأزرق وارتداء آخر يليق بعمل المنزل .

ومضى يومان ثم أعيدت المهزلة فارتديت الثوب الأزرق ، وجلست على نفس المقعد وظهرى متجه إلى النافذة وهو يروح ويجيء مرسلا نكاته وضحكاته بين لحظة وأخرى ثم ناولنى كتيبا صغيراً أصفر الغلاف وطلب منى أن أقرأ في منتصفة مايقرب من عشر دقائق ثم أمرنى بالكف عن مطالعتة وخلع الثوب وإرتداء آخر .

ومنذ ذلك الحين وقد أخذ الشك يدب في نفسى حتى تطرق بى الظن أننى أعيش في بيمارستان يحوطنى جو غريب كله جنون

في جنون .. ولاحظت أنهـمـا يعـمـلان جـهـدهمـا كى أدير رأسي لناحـيـة النافـذة المفتـوحة خلفى غـيـر أنى لم أعـدم وسيلة تنيلنى مبتغاى والمثل يقول :

" كل ماهو ممنوع مرغوب ! " يامستر هولمز .. وجعلت أفكر في وسيلة تكشف لى عـمـا يدور خلف ظهرى حتى عزمت أخيـراً على أمر . فأخفيت مرآة صغيرة في طيات منديل عكست ماأريد رؤيته .

شاهدت رجلا ملتحيا يقف في طريق سوثها مبتون ويصوب نظره إلى ناحيتى واكتفيت بما رأيت هذه المرة فأخفيت المرآة في المنديل مشفقة من أن يلاحظ مستر روكاسل أو زوجته ما أفعل ولكن جاء عملى هذا بعد أوانه إذ رأت مسز روكاسل كل شيء . ومالت على زوجها تقول :

❁ جـفـرى ... يوجـد رجل ملتح فى الطريق ينظر إلى مس هانتر نظرات مريبة .

فقطب مستر روكاسل حاجبيه واكفر وجهه وسألنى بحدة .

❁ هل تعرفين ذلك الرجل يا مس هانتر ؟

وعندما أجابته سلباً استطرد بنفس اللهجة :

❁ أرجو ان تنهريه كي يذهب بعيداً عن البيت .

فرضخت لمشيئته بينما أسدلت مسز روكاسل الستار على النافذة فى عصبية زائدة وهى تسب وتشتم .

ومر على هذا الحادث أسبوع لم أرتد فيه الثوب الإزرق ولم أجلس وظهرى إلى النافذة كعادتى . ونسيت أن أذكر لك يا مستر هولمز أننى في اليوم الأول لوصولى إلى الكوبريتس قادنى مستر روكاسل إلى باب الحديقة وطلب منى أن أنظر إلى شق صغير فيه ولشد ما روعت وذعرت عندما رأيت وسط الظلام الحالك المدلهم عينين ضيقتين ينبعث منهما الشرر وكأنما حاول مستر روكاسل أن يهدىء أعصابى فربت على كتفى قائلاً :

❁ لا تخافى يا مس هانتر فهذا ليس سوى كلبنا واسمه كارلو ونطلقه ليلاً لحراسة البيت فحاذرى منه ولا تتخطى عتبة البيت فى الليل والا عرضت نفسك لخطره الشديد ولا ادرى يا مستر هولمز إذا كنت قد ذكرت لك من قبل اننى بعد أن قصصت شعر رأسى وضعته فى حقيبتى الصغيرة التى أحضرتها معى . وفى ذات ليلة بعد ان انتهيت من عمل البيت دخلت مخدعى لأرتب لوازمى وكان أثاث المخدع يتكون من دولاب متوسط الحجم مقسم قسمين على هيئة أرفف والقسم الثانى خال منها ومعد لوضع

الفساتين وفراش صغير من النوع السفرى وثلاثة مقاعد عادية ومنضدة مستطيلة وبجوار النافذة يوجد دولاب آخر صغير به ثلاث أدراج وجدت درجين منها يمكن فتحهما لأنهما غير موصدين أما الدرج الثالث فكان مغلقا بالمفتاح ودفعنى حب الإستطلاع أن أجرب في فتحه مفاتيح الدولاب الكبير ففتح بسهولة ولشدة دهشتى وجدت بداخله شعرى المقصوص الذى كنت أخفيه في حقيبتى ورحت أتحقق من ذلك ففتحت حقيبتى فإذا بشعرى لايزال فيها وقارنت الشعرين بعضهما ببعض فوجدتهما لايفترقان في الطول واللون وفي كل شئ وأعدت الشعر الأول أخيرا إلى مكانه وأغلقت عليه الدرج الثاث ولم أفاتح أحداً في أمره .

وفي ذات اليوم كنت أتنزه في الحديقة عندما رأيت مستر روكاسل وكان قابضا في يده على عدة مفاتيح في حلقة كبيرة وكان ثائر الأعصاب شديد احمرار الوجه وأغلق الباب بشدة ثم سار متجاهلا رؤيتى رغم إننى حييته ولكنه عاد بعد لحظة واعتذر إلى سلوكه حيالى وكان في جانب من الحديقة مبنى مهجور فانتهزت الفرصة لسؤاله عنه وعندئذ أجابنى بأنه من هواة التصوير الشمسى وقد خصص هذا الجزء من البناء لتحضير أدواته اللازمة من تحميض وطبع وتثبيت وغيره . ولكنى لم أقتنع بسهولة لأن عينية كان يطل منهما الكذب فعولت على أن أميط

اللثام عن السر لكى أشبع فضولى ولا أخفى عنك أن مستر روكاسل لميكن هو فقط الذى كان يدخل هذا الجناح بل كثيرا مارأيت الخادم تولر وزوجته يدخلان وهما يحملان كيساً كصنوعا من الكتان الأسود .

وحدث أن انتهزت فرصة خروج رب البيت وزوجتة وولده ونوم تولر بعد إسرافه في الشراب فهرعت إلى ذلك الجناح المهجور وكان من حسن حظى أن المفتاح في ثقب الباب فأدرته بهدوء وانسللت إلى الداخل بعد أن اوصدت الباب خلفى دون صوت .

وجدت أمامي ردهة كبيرة مظلمة عاطلة من الأثاث بها باب يؤدى إلى جملة أبواب كلها مفتوحة إلا بابا واحداً مغلقا بعارضة كبيرة من الحديد وقفل ضخم وكان خيط من النور يتسرب من طاقة في السقف المرتفع وزاد من روع المكان وحشيت الغبار الذى يعلو الجدران والعناكب الكئيبة المتشابكة في الأركان .

وكان السكون يغشى المكان . وسكون قلما تراه في مدينة الأموات .

غير أن السكون لم يدم طويلا . إذ طرق أذنى وقع خطوات خفيفة سريعة داخل الغرفة الموصدة ، وعندئذ تملكنى رعب شديد وجزع هائل وعلمت جهدى للخروج من ذلك المكان المخيف في

أقرب وقت فحاولت الجرى ولكنى أحسست بارتخاء يقرب من الذهول يسرى في بدنى ويمنعنى من الحوكة وكأنما كنت أغوص بأقدامى في محيط من الماء .

وأخيراً ملكت زمام نفسى وطفقت أجرى بكل ما تبقى لى من قوة حتى خرجت من ذلك الجناح الجهنمى .

وإذا بمستر روكاسل يتلقفنى بين ذراعية وهو يصيح في صوت بغيض :

* كنت أعلم أنك داخل هذا الجناح عندما وجدت المفتاح في ثقب الباب .

فقلت وأنا أمسك بتلابيبه :

* إننى خائفة .. فالردهة مظلمة موحشة والعناكب تغمر الأركان .

إمتلأت نفسى رهبة وفزعاً ! فسألنى وهو يهزنى من كتفى :

* ماذا رأيت أيضا .. انطقى .

فأجبته وأنا ألهث وقد صرت أكثر فزعا من ذى قبل .

* لا أدرى .. ولا أعلم ...

وعندئذ نظر إلى بعينين يتطاير منهما الشرر وقال :

❁ حسنا لقد علمت الآن والويل لك كل الويل إذا حدثتك نفسك بدخول هذا الجناح مرة أخرى .

كانت ليلة مرهقة فظيعة تلك التى قضيتها بعد ذلك الحادث يامستر هولمز إذ ازدحمت في ذهنى الخواطر ولعبت في عقلى الشكوك القاتلة وخفت أن يحاول الوحش الانتقام منى ووجدت أن الفرصة سانحة لكى أبرق إليك حسب وعدك لى .

والآن إنتهت قصتى يامستر هولمز وها أنت ذا ترى أنها قصة غريبة شاذة محاطة بجو قاتم من الغموض والإبهام .. كل مافيها غريب وكل مافيها مريب فما ترى في ذلك ؟

وكان هولمز يصغى إليها وهو مغمض العينين اللذين يشبهان عينى الصقر في ضيقهما وسحب الدخان تتصاعد من متبغه في جو الغرفة فتعبقة بلون يشبه الضباب أثر ليلة ماطرة .

ولما لم يجب عن سؤال الفتاة قالت وهى تستعد للإنصراف :

❁ أظنك تحتاج لوقت كاف للتفكير يامستر هولمز وسوف أتركك الآن إذ يتحتم على أن أعود إلى البيت قبل حلول الساعة الثالثة لأن المستر روكاسل سيذهب مع زوجته لزيارة أحد أقاربه وسوف يبيتان عنده ويجب أن أرعى الطفل .

وأخيرا قام هولمز من مقعده وظل يروح ويجئ في الحجرة وكأنما عزم على أمر خطير فتوقف عن السير وتفرس في مس هانتر وسألها :

❁ وهل لم يزل تولر للأن نائما من تأثير الخمر !

❁ نعم ..

وهل أنت متأكدة من أن مستر روكاسل وزوجته سوف يبيتان خارج المنزل هذه الليلة ؟ ❁ نعم ..

إذن اعملمى يامس هانتر أن سلوكك إزاء هذه الحوادث الغامضة تدل على مقدار شجاعتك وذلك ماجعلنى أتجاسر وأطلب منك شيئاً .

❁ سل ماشئت يامستر هولمز فلن أتوانى عن القيام به .

❁ إذن فإصغى إلى . تنحصر خطتنا أنا ووطسون في الحضور إلى البيت في الساعة السابعة من مساء اليوم فيكون مستر روكاسل وزوجته في الخارج ونأمل أن نجد توار لايزال تحت تأثير السكر وإذن لا يبقى أمامنا بعدئذ غير مسز توار فأرجو أن تستدرجيها إلى إحدى غرف البدروم وهناك تدفعينها إلى الداخل وتوصدى عليها الباب بالمفتاح .

❁ سأفعل كل ماتطلبه منى ياسيدى ولكن اننى لم أفهم .
فقاطعها هولمز :

❁ لم تفهمى ماذا ؟

❁ لم أفهم سبب هذه الحوادث الغريبة . فهل استنتجت أنت شيئا يامستر هولمز من قصتى ؟

فعاد هولمز إلى مقعده وتمدد عليه ثم أغمض عينيه وشبك أصابعه على صدره ثم قال :

❁ إن كل ما أستطيع استنتاجه الآن هو أنهم أتوا بك إلى هذا القصر لتحلى مكان شخص ما وهذا الشخص سجين بين جدران الغرفة الموصدة في الجناح المهجور .

❁ ومن هذا الشخص السجين ؟

❁ هو مس روكاسل بلاشك لأنك تشبهينها في طول القامة وقسمات ولون الشعر ولاريب أنها كانت مقصوصة الشعر لمرضها أو لمرض آخر نجهله ومن ذلك يتضح السبب في الحاحهم الشديد عليك لقص شعرك !.

أما الرجل الملتحى الذى يقف في طريق شوتها مبتون ينظر إلى ناحيتك فيغلب على ظنى أنه صديقها أو يمت إليها بصلة ما

ولما كنت تلبسين ثوبها الأزرق التى كانت تفضل دائما ارتداءه عندم تجلس أمام النافذة الوسطى كان يظنك مس روكاسل !

وما كان مستر روكاسل يقوم بحركاته المضحكة ونكته المرحة إلا ليحملك على الضحك والقهقهة ليظن الرجل الملتحى أنك سعيدة مغتبطة في حياتك وأنك لاتحبينه بدليل أنك نهرته من النافذة ليبتعد ، وأما الكلب الهائل المحبوس في الحديقة فكانوا يطلقونه ليلا حتى لا يستطيع الرجل الملتحى الدنو منك ومحادثتك !!

وفي الميعاد المحدد كنا أمام باب القصر الحديدى الكبير بعد أن تركنا حقائبنا في فندق آخر قريب من القصر وكانت مسز هانتر في انتظارنا بالحديقة .

وهمس هولمز في أذنها :

❁ هل كل شئ على مايرام ؟!

فأجابت في صوت خافت وهى تقدم إليه حلقه من المفاتيح المصطنعة .

❁ نعم .. وقد حصلت على هذه المفاتيح فعسى أن تنفعك وقد عملت أقصى جهدى لتطابق المفاتيح الأصلية .

فغمغم هولمز :

❁ لقد أحسنت يامس هانتر .

وفي بطء شديد تسللنا في الحديقة بين الأشجار القصيرة حتى وصلنا إلى الجناح المهجور وفتحنا الباب بعد جهد وسرنا في الممر الطويل حتى وقفنا أمام الباب ذى العارضة الحديدية فقطع هولمز الحبل الغليظ الذى يربط إحدى نهاياتها بالجدار ورفع العارضة ثم جرب جميع المفاتيح واحد بعد واحد حتى عثر أخيراً على الصالح منها فأداره في الثقب دورتين وهمس لمس هانتر :

❁ سندخل أنا وواطسون بينما يستحسن أن تنتظرينا في الردها .

ودخلنا الحجرة ولشدة ما دهشنا حينما وجدناها خالية إلا من فراش صغير ومنضدة متداعية قوائمها وسلة من القش المحطم بها بعض الملابس وكان ينير الغرفة الضيقة طاقة في السقف يتدفق منها الضوء ...

وغمغم هولمز قائلا :

❁ إذن اختطفها النذل .. ولكن كيف تمكن من ذلك والباب موصد !!

وسكت لحظة جال فيها ببصره في أنحاء الغرفة حتى رأى الطاقةالعلوية فخبط جبينه بكفه وصاح :

❁ يالى من غبى !!

وأشار إلى الطاقة حيث وجد سطحه ..

وكانت مس هانتر قد دخلت الغرفة لما قالت :

❁ ولكن هذا مستحيل .. إذ لم يكن هناك سلم عندما خرج مستر روكاسل ..

❁ ربما رجع ثانية ..

وأصاخ سمعه وقال هامسا :

❁ أسمع وقع أقدام تقترب ياواطسون فضع مسدسك في أقرب مكان ليدك ..

وماكاد ينتهى من تحذيره حتى ظهر على عتبة الباب شخص ضخم الجثة ينبعث من عينيه بريق مخيف وفى يده هرواة غليظة وعندما رأته مس هانتر أفلتت من فمها صيحة مخيفة وتراجعت إلى الخلف خطوتين .

بينما تقدم هولمز إليه قائلا في حدة :

❁ ماذا فعلت بإبنتك أيها الشقى ؟!

فأجال الرجل بصره بيننا ثم صاح :

❁ وما شأنكم أنتم أيها اللصوص .. ويل لكم .

قال ذلك وهرع إلى حجرة الكلب " كارلو " ففتح بابها بينما رأينا في طرف الحديقة رجلا ضخم الجثة ممتقع الوجه يتعثر في مشيته وهو يقول بلسان متلعثم .

❁ ياللّه .. الذى اطلق سراح كارلو الذى لم يذق طعاما منذ يومين ..

وكان الكلب مقبلا نحونا بهيئته البشعة ورأيتة وهو يهجم على صاحبه ويطرحه على الأرض ويلغ في دمه فلم أر بدأ من أن أصوب عليه مسدسى فأردته قتيلا ..

وقمت أنا وهولمز بحمل روكاسل إلى فراشه وكان لا يزال به رمق من الحياة وأرسلنا تولر لينبئ ربة البيت بما حدث لزوجها كى تعنى به وبينما نحن في حالنا تلك إذ فتح الباب ودخلت منه امرآة طويلة القامة مفتولة العضل ما أن رأتها مس هانتر حتى صاحت في صوت خافت :

❁ مسز تولر !!

فقالت هذه :

❁ نعم يا سيدتى فقد اطلق سراحى روكاسل عند مجيئه مباشرة .. ليتك ياسيدتى اطلعتنى على كل شىء بدلا من سجنى في البدروم لكنت نصحتك بالعدول لأن كل ما سوف تقومين به سوف يذهب إدراج الرياح ..

فتفرس فيها هولمز وقال :

❁ إذن فكنت تعلمين سر هذه الحوادث يامسز تولر لكم نكون شاكرين لو اطلعتنا على كل ما تعرفينه ..

فجذبت السيدة مقعداً وجلست عليه وهى تلهث وقالت :

❁ أود ياسيدى أن أذكرلك قبل كل شىء أننى أحب مس اليس ابنة سيدى جيفرى روكاسل التى لم تكن سعيدة في يوم من الأيام بعد أن تزوج والدها بمجرد موت زوجته الأولى .

ولكن رغم ذلك فلم تستطع رؤية أحد شفوق تطمئن إليه وتبثه شكواها المريرة إلى أن قابلت مستر فاولر عند إحدى صديقاتها حيث أقامت حفلة ودعتها إلى مشاهدتها فتعرفت هناك على مستر فاولر وأنست به وشعرت من ناحيتها بميل إليه ولا أكثر عليك يا سيدى فقد تبادل معها حبا بحب وكنت أعلم أن أمها تركت لها بعد وفاتها ثروة كبيرة فألقت مقاليد أموالها في يد

أبيها الذى أخذ يبعثر فيها دون حساب وعندما وصل إلى مستر روكاسل أمر حب اليس خاف أن يحاول مستر فاولر بعد زواجها منه أن يستولى على ميراثها حسب نص القانون ويضطر أبوها ووصيها إلى تقديم حسابه على المبالغ التى أنفقها ففكر في حيلة جهنمية إذ جاء ذات يوم بصك كتب فيه إنها توافق على إيداع كل أموالها في حوزة أبيها سواء تزوجت أو لم تتزوج غير أن مس إليس فهمت حيلته وأبت التوقيع على الصك وعندئذ جعل يضايقها ويذيقها من العذاب ألوانه وصنوفه حتى أصيبت أخيراً بحمى في المخ كادت تؤدى بها لولا عناية الله كانت لها راصدة وقد نصحنا الطبيب الذى كان يعالجها إذ ذاك بقص شعرها وبعد ستة أسابيع تحسنت حالتها .. كل ذلك ومستر فاولر يزداد هياماً بها اليوم بعد اليوم .. وخاف أبوها أن يكون تحسن صحة مس اليس داعيا لإستئناف علاقتها بصديقها فعاد إلى مقاومته من جديد وسجنها في ذلك لجناح المهجور وأخذ يبحث عن فتاة تشبه مس إليس لتحل محلها حتى عثر أخيرا على مس هانتر كى يخدع خطيبها غير أن الأخير قابلنى ورشانى فسقيت زوجى كثيرا حتى غاب عن صوابه وبذلك اختطف سيدتى الصغيرة ولا شك الآن نهما بلغا مسجل العقود ليعقدا قرانهما ..

الرجل الغامض

ق ولاحظت في الحال أن سلاك ينظر إلى القضية بنظرة تختلف اختلافا تقضى صديقى مستر شارلوك هولمز المدة التى بين عامى ١٨٩٤ و ١٩٠١ في عمل مرهق جبار استنزف كثيرا من قوته وأقول وأنا واثق من قولى إنه لم تمر قضية صعبة الحل أو لغز غامض استعصى على رجال البوليس فهمه ولم يستشر فيه هولمز في هذه الثمانى سنوات وليس الأمر متوقفا على هذا فقط إذ كان إلى جانب هذه القضايا قضايا أخرى خاصة أنيطت به وتكاد تبلغ المائة وكان بعضها شاذاً غريبا مليئا بالحوادث غير العادية والمعقدة فكان الرجل الوحيد الذى أبدى مهارة لايتمتع بها شخص عادى .. وقد نجح في كثير منها نجاحا غطى على فشله في البعض القليل ولما كنت أثبت كل هذه القضايا على شكل مذكرات ولما كنت قد ساهمت بالفعل في كثير منها لذا أجد من الصعب إنتقاء القصص التى تعرضها على الجمهورولكنى سوف أتبع القاعدة التى سرت عليها منذ أن أخذت على عاتقى إذاعتها وهى إنتقاء القضايا التى تمتاز بغرابتها وغموضها وذكاء المجرم وبذل جهده في إخفاء معالم جريمته ثم النتيجة التى توصل هولمز

إليها باستعمال المنطق السليم والتفكير الصحيح فيستدرج المجرم حتى يحضر على قدميه ثم يطبق عليه .

ولهذا السبب سوف أسرد على القارىء كل الحوادث التى لها علاقة بالمس فيولت سميث وما أدت اليه أبحاثنا الغريبة وكيف استحالت الحوادث التى يخيل إلى الإنسان فى أول الأمر أنها بسيطة إلى مأساة تغتصب الرحمة وتستدر الدمع ورغم أن هذه القضية تحيط بها ظروف جديدة غير الظروف التى مرت على هولمز طول المدة التى امتهن فيها مهنة البوليس السرى الخاص فقد يمكن من الإيقاع بالمجرم الحقيقى بعد أن ظننت أن هذه الظروف ربما تكون عائقا أو حاجزا يسبب له الفشل ..

بالرجوع إلى مذكراتى التى كتبتها في عام ١٨٩٥ اتضح لى أنه قبل يوم السبت الموافق ٢٣ ابريل لم نكن نعرف شيئا عن مس فيوليت سميث وأتذكر أن هولمز لم يقم بواجب الترحيب الإستقبال عند مازارتنا لأنه كان مشغولاً وقتئذ فى قضية هامة ذات عقد ملتوية هى قضية " جون فنسان هاردن " وهو المليونير وصاحب مصانع الطباق المعروف .. أقول إنه كان مشغولا لدرجة أنه لم يحاول أن يجرب نظرية " تتابع الأفكار وتسلسلها " المغرم بها قبل كل شىء آخر فى هذه الزائرة لأول مرة لحظت هولمز على غير عادته - ينظر بخشونة الى حتى خيل إلى أنه سوف يرفض

الإصغاء إلى قصة هذه الفتاة طويلة القامة ذات الوجه الجميل والملامح الجذابة التى هبطت على منزلنا بشارع بيكر فى إحدى الأماكن تسأله المعونة وإبداء النصح ..

وقد فطنت إلى أنه مشغول بقضية أخرى ورغم ذلك فكانت تبدو عليها قوة الإرادة والعزم وهيئتها الإجمالية تنم عن أنها ماجاءت إلا لتروى إلا قصتها .. وسوف ترويها مهما كانت الدواعى ..

واصطنع هولمز وهو يسألها أن تجلس وتذكر ما يقلقها ..

وبعد أن أخذت مقعدها قال هولمز وهو يحدجها بنظراته الحارة:

* إن صحتك تبدو جيدة رغم إدمانك ركوب الدراجة كما أن هذا الركوب قد أكسبك نشاطا وحركة كما ينم عليه شكلك !!

فظهرت سمات الدهشة على وجهها الجميل الوردى ثم أشقطت عينيها على موضع الإحتكاك الظاهر على حذائها من تأثير حافة (البدال) ثم أجابت وهى تبتسم لإكتشافها الأثر الذى استنتج هولمز منه كثرة ركوبها الدراجة :

* أنت على حق يامستر هولمز فإننى أقضى وقتا طويلا على مقعدها وسوف ترى علاقة هذا بالموضوع الذى من أجلة جئت أسألك المعونة .

ودهشت عندما أمسك هولمز بيد الفتاة غير المضطربة وجعل يفحص راحتها لحظة بعينيه الحادتين كما يفعل الشارى في البضاعة قبل أن يقدم على اتباعها ثم قال وهو يتركها :

* أرجو عدم مؤاخذتى فهذا عملى وفعلا أخطأت عندما ظننتك إحدى كاتبات التيبرايتر ولكنى تداركت خطئى الآن فأنت موسيقية وذلك واضح من فرطحة أطراف أصابعك .

وإنبعثت نظرة تدل على التقدير والإعجاب من الفتاة وإومأت برأسه وهى تقول :

* نعم يامستر هولمز . فإننى مدرسة موسيقى .
* في الأرياف على ما أعتقد .. إن هيئتك تنم على ذلك !
* نعم ياسيدى بالقرب من فارنهام على حدود مقاطعة سورى
* إنها بقعة جميلة .. هل تذكر ياواسطون أننا قبضنا على آرثى ستايفورد هناك .. ستايفورد المزيف .. أنت تذكره بالطبع .. والآن يامس فيولت ما الذى حدث لك بالقرب من فارنهام على حدود سورى ؟!

فإعتدلت الفتاة في جلستها ثم انفجرت تسرد علينا قصتها الغريبة :

إننى يتيمة الأب يامستر هولمز وكان والدى يدعى سميث قائد اوركسترا المسرح الإمبراطورى القديم وبوفاته فقدت أنا وأمى كل قريب لنا في العالم اللهم إلا إذا استثنينا عمى " رالف سميث " الذى هاجر إلى افريقيا منذ خمسة وعشرين عامل ولم تصلنا كلمة منه طول هذه المدة .. ولم يترك لنا والدي شيئا بعد موته سوى الفقر المدقع والفاقة الشديدة ولكن علمنا ذات يوم أن جريدة التيمز نشرت إعلاناً تتساءل فيه عن مقرنا ولك أن تتصور دهشتنا وقتئذ وخطر ببالنا أن ربما ترك لنا شخصاً ارثا كبيراً ننعم به بعد هذه السنوات المرهقة ولذا لم نضع الفرصة فذهبنا على الفور إلى المحامى الذى ذكر اسمه في الاعلان وهناك قابلنا سيدين هما مستر كاروثرز ومستر وودلى وقد أخبرانا أنهما كانا في جنوب افريقيا وأنهما كانا صديقين لعمى رالف سميث الذى لقى حتفه منذ بضعة أشهر قضاها في فقر قاتل بجوارها نسبرج وقالا أنه في النزع الأخير أوصاهما بنا ومساعدتنا ما أمكن ..

وبدا الأمر غريبا لدينا إذ ليس من المعقول أن العم رالف الذى لم نثر مرة اهتمامه في حياته ينظر إلينا بعين الرأفة والعطف بعد مماته ولكن مستر كاروثزر أوضح لنا سببا مقبولا قائلا إنه لم يعلم بموت أبى وعائلنا إلا في اللحظة الأخيرة ولذا فإنه أحس بمسئوليته نحونا بعد وفاة أخيه ..

وقاطعها هولمز قائلا :

* هناك سؤال .. ومتى قابلت هذين السيدين ؟

* في ديسمبر الماضى أى منذ أربعة شهور ..

* وماذا حدث بعد ذلك ؟

* شعرت بمقت شديد نحو هذا الشخص المسمى وودلى وازداد كرهى له عندما لاحظته يلقى على نظرات مريبة حادة كنت أعمل جهدى على إتقائها وتحويل بريقا بريقها اللامع عنى كان وجهه بشعاً منتفخا يتوسطه شارب محمر اللون وزاده بشاعة تلك الشعيرات المقيتة التى تتدلى على جانبى صدغيه وأعتقد أنه مارآه إنسان إلا وشعر بما شعرت به وأعتقد أيضا أن سيريل لوعلم بالأمر لنصحنى بعدم الأقتراب من ذلك الشخص .

فقال هولمز وهو يبتسم :

* ومن سيريل هذا اسمه ؟

* نعم .. يامستر هولمز انه يدعى سيريل مورتون ومهنته مهندس كهربائى وقد اتفقنا على الزواج بمجرد انتهاء الصيف .. والآن لا أستطيع أن أفى هذا الرجل حقه من

الكره يامستر هولمز وكل ما أريده قوله هو أن وودلى هذا بشع .. بكل مافي هذه الكلمة من معنى ولكن مستر كاروثزر الذى كان يبدو أكبر منه سناً كان طيب القلب معى اسود العينين شاحب الوجه حليق الذقن يميل إلى الصمت وإذا ماتكلم وزن الألفاظ قبل أن ينطق بها وإذا ما إبتسم بذل جهده في أن تكون بسمته عذبة رقيقة فسألنى في أدب عن الحال التى تركنا عليها والدى بعد مماته وعندما علم بفقرنا المدقع عرض على أن أقوم بتدريس الموسيقى لابنته الوحيدة البالغة عشر سنوات فأجبته بعدم استطاعتى ترك والدتى فاقترح أن أعود لها مرة في اجازة آخر الاسبوع . وعندما تكلمنا على الأجر عرض على مائه جنيه في العام وهو كما ترى أجر ليس بالقليل يغرى بالقبول ، وفعلا اتفقنا وذهبت إلى (جيلترن جرانج) التى تبعد نحو ستة أميال من "فارنهام"

وكان مستر كاروثزر أرمل يستخدم في بيته سيدة كبيرة السن محترمة تدعى (مسز ديكسون) ووظيفتها الأصلية " بوابة " ولكنها كانت تقوم بتنظيف البيت وترتيبه والعناية بابنته الوحيدة علاوة على عملها الأساسى وكان مستر كاروثزر على علم بالموسيقى وكثيراً ما قضينا ليالى سعيدة كنا نعزف فيها معاً وفي أخر اسبوع أذهب إلى المدينة لأقضى الأجازة بين أحضان أمى

قضيت أياما سعيدة في هذا البيت ثم بدأت العاطفة تدنو منذرة بالشر وذلك بقدوم مستر وودلى المقيت لقضاء اسبوع في ضيافة مستر كاروثزر وخيل إلى إن هذا الاسبوع ثلاثة شهور طوال لشدة كراهيتى له .. كان شخصا بشعا .. يامستر هولمز بل أبشع مما تتصور فهو في نظرى كتلة من الشر والفظاظة .. وأشد ماذعرت عندما إختلى بى مرة وأخذ يسقط فى أذنى من ألفاظ الحب ماشاء وعبثا حاولت رده إلى العقل والواجب وراح يغرينى بثروته قائلا إننى لو تزوجته فسوف ينيلنى أبدع جواهر لندن وأنه سوف يمهدلى الطريق للظهور في الأندية والمجتمعات إلى غير ذلك حتى ضقت به ذرعا وضاق ذرعابى فهجم على واحتوانى بين ذراعيه القويتين مقسماً بأنه لن يدعنى إلا بعد تقبيلى ولم تدم المناضلة بيننا طويلا إذ فاجأه مستر كاروثزر فانتزعنى منه وصوب اليه لكمة قوية أصابته في ذقنه فسقط على الأرض وهو ينعته بأقبح السباب وهكذا مضى وودلى قبل أن يكمل الأسبوع الذى أتى لقضائه .

وفي اليوم التالى قدم إلى مستر كاروثزر اعتذاره عما بدا من صديقه وأكد لى أن مثل هذا الفصل المهين لن بحدث مرة ثانية .

ومنذ هذه اللحظة لم أقابل مستر وودلى .

والآن يامستر هولمز سأقدم على السبب الأساسى الذى دعانى

إلى استشارتك .. وقبل كل شيء تعلم أنني قبل ظهر كل يوم سبت أركب دراجتي قاصدة محطة فارنهام لألحق بقطار الساعة الثانية عشر و١٢ دقيقة ليقلني إلى المدينة والطريق بين (جيلترن جرانج) وفرنهام طريق مقطوع ومنعزل وخاصة في الجزء الذي يقع بعد ميل من مروج شارلينجتون من ناحية بينما تقع الغابات المحيطة بـ (شارلنجتون هول) في الناحية الأخرى .. لن تجد مكانا أكثر عزلة ووحشة من هذا المكان ونادرا ماتجد عربة نقل أو فلاحاً قبل أن تصل إلى الجزء المرتفع قريبا من تلال كروكسبرت فبينما كنت أخترق هذا الطريق منذ أسبوعين تصادف أن أختلست نظرة خلفي فلاح لي على بعد نحو مائتي ياردة رجل يركب دراجة مثلي وكان يبدو عليه أنه في منتصف العمر رغم لحيته القصيرة السوداء وعندما اقتربت من فارنهام خطر لي بالا إلى الحادثة واعتبرتها مجرد مصادفة ولكن لك أن تتصور دهشتي بعد ذلك يامستر هولمز . عندما تعلم أنه في عودتي إلى مقر عملي يوم الاثنين رأيت نفس الرجل في نفس الطريق وإزدادت دهشتي لما تكررت الحادثة بيني وبينه ورغم أنه لم يحاول قط مشاكستي إلا أن الأمر بدالي غريباً ..

وعندما ذكرت المسألة للمستر كاروثرز أبدى اهتماما من جانبه وقال إنه أوصى بشراء حصان وعربة خفيفة سوف تقلني من البيت

والمحطة حتى لا أضطر في المستقبل إلى قطع هذا الطريق الموحش وحيدة ..

وكـان منتظرا حضـور العـربة والحصـان هذا الأسـبـوع ولكن أعتذاراً لا أدريها قد أخرت حضورهما ولذا اضطررت إلى قطع المسافة بدراجتى صباح اليوم وعندما بلغت مروج شـارلينجتون رأيت الرجل المثلج الذى اكتشفته منذ أسبوعين يعود إلى إقتفاء أثرى وفهمت غرضه من جعل المسافة بينى وبينه مائتى ياردة هو ألا أتعـرف عليـه ولكنى واثقـة من أننى لم أره من قـبل وكـان مرتديا بذلة غـامقة وقبعـة من القماش والشيء الوحيد الذى رأيته بوضوح هو لحيتـه السوداء لم أنزعج لرؤيته اليوم ولكن ملأتنى الدهشةوصممت في نفسى على أن أتعرف عليـه وأعـرف غرضه من تتبع أثرى فـأبطأت في سير الدراجة ففعل مثلى .. فأوقفتـها بينمـا وقف دراجتـه بدوره وعندئذ نصبت له فـخـا .. كـان في الطريق انحناءة حادة فـأسرعت إليـها وأوقفت دراجتى واختـفيت خلفـها.. وانتظرت مـتوقعـة أن يتابع سيـره خافى ثم ينحنى مع الطريق فيمكننى التعرف عليه ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ولم يظهـر الرجل ونظرتبـحذر من جانب الإنحناءة ورغم أنه كـان في مقدور بصرى أن أرى مسافة ميل أمامى فإننى لم أجد الرجل .. كان قد اختفى كأنما قد ابتلعته الأرض إنه لاتوجد منحنيات في هذا الجزء من الطريق يحتمل أن يكون قد انحدر إليها ..

فضحك هولمز وفرك يديه قائلا :

* إن قضيتك ياسيدتى غريبة من بابها .. وكم مضى من الوقت بين اختفائك بدراجتك في الانحاءة وبين رؤيتك الطريق خاليا ؟

* دقيقتان أو ثلاث على الأكثر .

* إذن فليس من المحتمل أن يكون قد قفل راجعا بينما تقولين في الوقت نفسه إنه لايوجد منحنيات في الطريق قد يكون انحدر فيها !

* أبدا ..

* إذن فلا شك أنه عبر على قدميه ساحبا دراجته جانبا من جانبى الطريق .!

* لم يسر صوب المروج وإلا لكنت رأيته .

* لنغض الطرف عن هذه النقطة الآن .. فقد يكون قد عبر الطريق إلى شارلينجتون هو الذى (كما فهمت منك) يقع على الجانب الآخر من الطريق .. وبعد ذلك ماذا حدث ؟

* لم يحدث شيء يامستر هولمز إلا أننى كنت في حيرة من أجلها واعتقدت أننى سوف لا أستريح إلا إذا حضرت إليك طالبة رأيك الخاص وما تشير على به .

وجلس هولمز صامتا بعض الوقت ثم سألها أخيراً :

* أين السيد الذى أنت مخطوبه له ؟
* انه يعمل في شركة الكهرباء الداخلية بمقاطعة كوفنترى .
* ألا تظنين أنه أراد أن يفاجئك باقتفائه أثرك ؟
* كلا يامستر هولمز .. كأننى بسؤالك هذا لا أعرفه .
* وهل لك معجبون آخرون ؟
* كثيرون قبل معرفتى بسيريل .
* وبعد ذلك ؟
* وبعد ذلك هذا الرجل المقيت المدعو وودلى إذا شئت أن تضمه إلى كشف المعجبين !!
* هل هناك أحد غيره ؟!

فسكتت لحظة تضرج فيها وجهها بالإحمرار بينما سألها هولمز

* من هو ؟
* أوه .. قد يكون ذهب ذهنى بالخيال إلى حد بعيد ولكن بدا لى أن مخدومى مستر كاروثزر يكن شيئا من الإعجاب نحوى وقد اكتشفت ذلك في بعض الأمسيات التى كنا

التي كنا نعزف فيها معا ولكنه لم ينبس بحرف يدل على إعجابه كأنما هو يشفق من البوح به .. لقد كان طيب القلب معي دائما ولكنك تعلم يامستر هولمز أن المرأة لاتخفى عنها شيء مهما كان ضئيلا !!

وتفرس هولمز في عينيها الصافيتين وقال :

* آ..ه .. نعم .. ومن أين يعيش مستر كاروثرز ؟

* إنه رجل غني .

* ألا يمتلك خيلا أو عربات ..

* كلا فهو لا يحتاج لأنه يذهب إلى المدينة مرتين أو ثلاثة في الأسبوع للنظر في شؤون سنداته التي يستغلها في مناجم الذهب بجنوب افريقيا .

* أرجو أن تبلغني أنباؤك أول بأول يامس سميث لأنني مشغول جداً الآن ولكني في نفس الوقت سوف أختلس زمناً أستطيع فيه السير في قضيتك فلا تخطى خطوة إلا وأكون عليم بها وإلا اللقاء الآن كما أرجو أن تنتهي متاعبك عند هذا الحد ولا أسمع منك إلا كل خير .

وبعد أن انصرفت أخذ هولمز يعبث بغليونه العتيد قائلا :

❁ لقد تدخلت قوة طبيعية في حياة هذه الفتاة فالطريق الذى تسلكه موحش رهيب وعلى كل حال فقضيتها لاتخلو من غـرابة ودهشـة ياواطسـون !! ويغلب على الظن أن هذا الرجل الملح عاشق متعبد يقتفى أثرها لا لشيء سوى أن يملأ ناظريه منها دون أن يجعلها تتعرف عليه وهى جميلة جداً كما ترى !!

❁ هذا هو رأيى .. أو مـايبـدولى على الأقل طالما أن هذا الرجل لم يحاول مشاكستها !

❁ تماما . والخطوة الأولى الآن هى أن نبذل جهودنا لمعرفة مستأجرى شارلينجتون هول ثم مدى العلاقة التى بين كاروثزر ووودلى مادام مشرب وأخلاق كل منهما لاتتفق مع الآخر !! وما الدافع الحقيقى الذى حفزهما إلى البحث عن أقارب رالف سميث وما السبب الذى من أجلة عرض كاروثزر ضعف الأجر المعتاد اعطاؤه للمربية على مس فيوليت سميث .. ولم لايمتلك حصانا أو عربة رغم بعد المسافة التى بين بيته وبين محطة فارنهام وتبلغ ستة أميال هذا غريب ياواطسون .. غريب جداً !!

❁ إذن فسوف تذهب إلى هذه الناحية ؟ !

❁ كلا ياعزيزى بل أنت الذى سوف يذهب إذ قد تكون هناك مكيدة مدبرة وأنا من جهتى لا أستطيع ترك القضية الهامة التى بين يدى من أجلها ففي يوم الاثنين القادم سوف تصل في الصباح الباكر إلى محطة فارنهام وتختفى بالقرب من مروج شارلينجتون وتلاحظ مايحدث بنفسك وتفعل ما يمليه عيليه عقلك وبعد أن تتحرى عن سكان شارلينجتون هول تعود إلى بالتقرير اللازم ..

والآن ياواطسون سوف لانتحدث بكلمة عن هذه القضية إلا بعد أن نحصل على بعض الحصى لبناء أساس نسير على هديه .

وكنا قد تأكدنا من الفتاة إنها تستقل يوم الاثنين القطار الذى يغادر وووترلو في تمام الساعة التاسعة والخمسين دقيقة ولذا فقد بكرت فركبت القطار الساعة التاسعة وثلاث عشرة دقيقة وعندما وصلت إلى المحطة فارنهام لم أجد صعوبة في السؤال عن الطريق المؤدية إلى مروج شارلينجتون وما أن سرت فيها حتى أدركت أن الفتاة كان على حق إذ كانت تحف الطريق المروج الخضراء من ناحية والأشجار الكثيفة المظلمة التى من نوع أشجار الصنوبر من النحية الأخرى ورغم هذه الدوحة المورقة كانت هناك بعض فرجات تصلح لأن تكون طرقا يمر منها الانسان إذا أراد وأما المنزل فكان مختفيا خلف الأغصان لاتراه العين .. وبالإجمال فكل شيء

مختفيا خلف الأغصان لاتراه العين .. وبالاجمال فكل شيء يحيط بالمكان يبعث في النفس الرهبة والخوف .

وكانت الزهور الذهبية الجميلة تغطى المروج المنتشرة وهى تلتمع تحت أشعة الشمس الواهجة فتبعث في القلب شيئا من البهجة يخفف قليلا من الوحشة التى كنت أشعر بها .. وخلف كتلة ورقة أخذت مكانى بحيث أرقب الطريق من جهتيه .. وكان الطريق خالياً إذ ذاك لاتسمع فيه نأمة ولاحركة فخيل إلى أننى قابع وسط مقبرة ولكن لم يطل انتظارى إذ مالبثت أن شاهدت شخصا يركب دراجة قادما من الناحية المضادة للناحية التى أتيت منها وكان يرتدى بذه غامقة وله ذقن سوداء قصيرة وعندما بلغ الجهة المقابلة لشارلينجتون هبط من فوق دراجته واختفى بها في فرجة بين الأغصان المتشابكة ..

وبعد مضى ربع ساعة ظهرت دراجة أخرى وعلى مقعدها الفتاة الصغيرة وهى قادمة من ناحية محطة فارنهام ولم تمر لحظة حتى وجدت الرجل الملتحى يخرج من مخبئه ويقفز فوق الدراجة ويتبعها وكانت الفتاة مستقيمة على مقعدها بينما كان الآخر محنيا فوق قضيب القيادة .. وفجأة رأيتها تلتفت خلفها وتنظر إليه ثم تخفف من سرعة الدراجة بينما أبطأ هو بدوره .. وقفت فوقف أيضاً .. كل ذلك دون أن يجعل المسافة التى بينه وبينها

تقل .. وكانت مائلتا باردة تقريبا وأما الحركة التى أبدتها بعدئذ فلم أكن أتوقعها إذ غيرت اتجاهها فجأة وسارت في الناحية المضادة وأصبحت قاصدة الرجل وجها لوجه ..

وكان الرجل في مثل سرعتها فغير هو الآخر اتجاهه وأدار (البدال) بكل ماأوتى من قوة كأنما الأشباح تطارده .. وانقلبت الآية فظلت تتبعه حتى اختفيا عن نظرى في المنحنى .

وظللت في مخبئى واستحسنت ما فعلت لأننى شاهدت الرجل يعود على قدميه ومضت بضع دقائق كان واقفا خلالها بين الأشجار رافعا يديه إلى اعلى والظاهر أنه كان يصلح من رباط عنقه وبعد ذلك سحب دراجته إلى أعلى التل ثم ركبها متجها صوب شارلينجتون هول بينما أسرعت أنا وعبرت المرج ثم أخرجت رأسى من بين الأغصان فرأيت على بعد شبح البناء القاتم الذى تحوطه بعض الأزقة الملتوية الشائكة فمنعتنى من رؤية الرجل ...

وخيل إلى عندئذ أننى قمت بعملى على الوجه الأكمل فعدت وأنا منتفخ الأوداج إلى فارنهام وعندما سألت وكيل شركة لندن المحلية عن سكان شارلينجتون هول لم يدلوا إلى بأى معلومات وأشاروا على بالسؤال في محل تجارى معروف يحمل اسم (بول مول) فذهبت حيث قوبلت بحفاوة وإكرام زائدين ولما كنت أود ألا أثير شكا فقد أبديت رغبتى في السكن بشارلينجتون هول فأجابنى العامل :

* كلا يا سيدى إن شارلينجتون لا تصلح للسكنى في الصيف رد علي ذلك أن البيت مؤجر للمستر ويليامسون منذ شهر وهو رجل كبير السن محترم ..

هذا كل ما أدلى به إلى العامل ثم تركنى ليخدم زبائنه ..

وأصغى هولمز للتقرير الذى رفعته اليه بعد عودتى في المساء إلى شارع بيكر وخيل إلى أنه سوف يصافحني مهنئا ولكن شيء من ذلك لم يحدث فلم تنفرج شفتاه عن كلمة شكر أو تشجيع بل بالعكس فقد رأيت جهامة على وجهه العبوس وأخذ يلومنى على ما أقمت عليه قائلا :

* لم تختر البقعة الصالحة للإختفاء يا واطسون وكان أولى بك أن تختفى في مكان تستطيع أن تراقب منه الرجل الملتحى عن قرب وليس على بعد بضع مئات من الياردات كما فعلت وبذا تستطيع أن تمدنى بمعلومات جديدة فمثلا هى تظن أنها لا تعرف الرجل ولم تره أبدا من قبل وأنا لا أشك في ذلك ولكن لماذا يهرب منها كلما حاولت أن تراه وجها لوجه .. إنه يخشي أن تتعرف عليه .. لقد قلت إنه كان منحنيا فوق قضيب القيادة .. لماذا .. لأنه يريد ألا ترى سوى ذقنه الملتحى .. لقد أخطأت يا واطسون .. تركته يعود لى البيت بينما أنت في شدة الاحتياج لرؤية

ملامحه ومعرفة من هو .. لقد ذهبت بعدئذ للسؤال في شركة لندن المحلية .

ولم أدعه يتم حديثه بل ضقت ذرعا به وأحسست بشعور من الكراهية وعدم التقدير نحوه وصحت :

* ماذا كنت أفعلإاذن ؟

* كان أولى بك أن تذهب إلى أقرب حانه حيث تكثر الأقاويل وتنتشر الإشاعات وهناك بكل بساطة يمكنك أن تعرف ما تريد من الخادمة ... ويليامسون !! وما استفدت من اسمه ... تقول إنه كبير السن إذن فكيف يتسنى له ركوب دراجة والإسراع بها لدرجة تعجز فتاة فى ميعة صباها أن تلحق به !! هل تستطيع الآن أن تذكر لى ما استفدناه من إرسالك ؟! لم نستفد سوى أن قصة الفتاة حقيقية لا غبار عليها وهذا ما شككت فيه قط وعلمنا أن هناك علاقة بين الرجل الغريب وقصر شارلينجتون ولم أشك في هذا أيضا .. وأن القصر يسكنه رجل يدعى ويليامسون .. ومن ويليامسون هذا لا ندرى .. حسنا .. حسنا لا تبتئس يا واطسون فسوف أتحرى عن كل شيء بنفسى ..

وفي صباح اليوم التالى وصلتنا رسالة من مس فيوليت سميث ضمنتها كل الحوادث التى رأيتها بعينى أمس وأما ما حدث بعد لك فهو ما يحويه الجزء الآخر من الرسالة حيث قالت :

"أعتقد أنك سوف تحترم ثقتى بك يا مستر هولمز عندما انبئك بأنه أصبح من الصعوبة أن أظل هنا فقد عرض على مخدومى الزواج وصرح لى بحبه الشديد لى وأنا لا أنكر انه سلك معى مسلكا مشرفا وعندما أخبرته بأننى آسفة لخطوبتى لرجل آخر خيل إلى أن الصدمة كانت شديدة عليه ، فراح يأخذ أنفاسه في عنف وضيق وتحيرت الدموع في مآقيه ولكنه لم يتكلم ولم يثر كان عهدى به طيب القلب شهما ..

وها أنت تري يا مستر هولمز أن موقفى ازداد حرجا ..."

وغاص هولمز في لجة من التفكير ثم قال :

* إن القضية تسير سيرا حثيثاً ياواطسون وأظن أن من المستحسن أن أذهب بعد ظهر اليوم لقضاء بعض الوقت في الريف لأجرب نظرية أو نظريتين اختمرتا في ذهنى .

ويظهر أن هولمز لم يوفق في ذهابه إلى الريف فقد عاد في المساء مقطوع الشفة معصوب الجبهة . لدرجة أننى انكرته طالما جاء مفتشوا اسكتلانديارد لاستشارته في القضايا العويصة ولا

أخفى شيئا إذا صرحت بأننى شعرت بالشماته لرجوعة خافقا لأنه لامنى بالأمس على ما اقدمت عليه وراح ينتقد كل خطوة خطوتها وأخيرا قال :

✿ إننى لم أحزن على فشلى عندما حاولت مراراً أن أتدرب على لعب البوكس بقدر حزنى على فشلى الليلة ياواطسون

وأخفيت شعورى بالشماتة نحوه مخافة غضب وسألته :

✿ ماذا حدث ياهولمز ؟

✿ قصدت فوراً إلى حانة فارنهام التى جاء ذكرها في سياق حديثنا أمس لكى أتحرى عن مستر ويليامسون وكان صاحب الحانة رجلا ثرثارا فذكر لى كل ماأردت معرفته عنه .. فهو رجل كبير السن وقد خط الشيب لحيته ويعيش وحيداً في قصر شارلينجتون إذ استثنينا بعض الخدم الذين يقومون بخدمته وهناك اشاعة تقول أنه قسيس أو كان قسيسا فيما مضى وبالتحرى فيما مضى من مكتب الاستعلامات علمت أن رجلا بهذا الاسم كان معروفا بسوء السيرة زد على ذلك أننى فهمت من حديث صاحب الحانة بكثرة زيارات رجل أحمر الشارب يدعى مستر وودلى وبينما كنت أوجه أسئلتى للرجل الثرثار كان وودلى في الغرفة المجاورة يستمع إلى كل شىء إذ مالبث أن برز من الباب بهيئته المقيمة وهو يصيح :

* من أنت .. وماذا تريد ؟ وما قصدك من هذه الأسئلة ثم انهال على بسيل من الشتائم والصفات القذرة اتبعها بقذف مقعد فشل في القائه لأنني كنت قد سددت له لكمه قوية غادر بعدها الحانة محمولا على عربة وبذا انتهت زيارتي لفارنهام بمثل الفشل الذى منيت أنت به في زيارتك لها لأول مرة ....

وفي يوم الخميس التلى وصلنا خطاب آخر من مس فيوليت سميث تقول فيه :

" سوف لاتندهش ياهولمز إذا علمت إننى سوف أغادر مستر كاروثرز رغم المبلغ الكبير الذى عرضه على لأقوم بتدريس الموسيقى لابنته وعند حلول يوم السبت القادم سوف أذهب إلى المدينة كعادتى ولكنى لن أعود ، وقد استحضر مستر كاروثرز العربة فوفر على مشقة قطع الطريق الموحش منفردة وأعتقد أنك برحيلى عن هذا البيت سوف أبتعد عن المخاطر التى أظل معرضة إليها في كل لحظة ..

وأما السبب الأساسى الذى دعانى إلى مغادرة البيت فليس فقط موقفى إزاء مستر كاروثرز بل لعودة ظهور الرجل المقيت المدعو مستر وودلى .. لقد كان دائما بشعا ولكن اليوم خيل إلى انه ازداد بشاعة وإزددت له كرها والظاهر أنه حدثت له حادثة

تركت أثرها جلى وجهه البغيض .. لقد لمحته من النافذة وإننى أشعر بسعادة تطغى على لعدم مقابلتى له وكانت له جلسة طويلة مع مستر كاروثرز ظهر على أثرها في شدة الانفعال والغضب ويغلب على ظنى أو وودلى يعيش على مقربة منا لأنه لم يقض ليلته هنا رغم تأخير الوقت ولأننى لمحته مرة ثانية وهو يحوم حول البيت في هذا الصباح فبدا كأنه وحش هائج يود لويقابل فريسة ضعيفة لينشب فيها أظافرة ويلغ في دمائها وقد بغضته وخفت منه أكثر من ذى قبل لا أدرى كيف يتحمل مستر كاروثرز رؤيته ولكم أنا مسرورة لأن متاعبى سوف تنتهى يوم السبت القادم !! "

وما انتهى هولمز من قراءته حتى قال :

* هذا ما توقعته ياواطسون .. هذا ماتوقعته .. هناك مكيدة تدبر في الخفاء حول هذه الفتاة الصغيرة ومن واجبنا أن نحميها مما سوف ينزل بها أثناء عبورها الطريق لآخر مرة فيجب ألا نضيع الوقت عبثا ونذهب معا في صباح السبت القادم كى نضع حداً لمتاعبها ..

وفي الحقيقة لم أكن أنظر إلى القضية هذه النظرة التى تدل على الخطر المحيق بمس فيوليت سميث لأنه إذا كان هناك رجل يعشق فتاة ذلك العشق الذى يدفعه إلى اقتفاء أثرها في مجيئها

ورواحها ثم هو يشفق أن ترى وجهه وتتعرف عليه فيهرب بجبن من اقتراف جريمه تؤذيها وأما الوحش المسمى وودلى فلم يحاول أن يضايقها بهد المرة الأولى التى صرعه فيها كاروثرز أو يتدخل في شئونها عند زيارته الأخيرة للبيت كما قررت الفتاة في رسالتها وفي الوقت نفسه لم يعد هناك شك في أ رجل ادراجة الذى اعتاد تتبعها على صلة بمستر ويليامسون سيء الأخلاق والذى يتردد على قصره كثيرون من ذوى السمعه غير المشرفة ولكن من هو وماذا يقصد .. هذا مازال غامضا علينا الآن .

وعندما تناول هولمز مسدسه ودسه في جيبه الخلفى أدركت خطورة المغامرة التى نحن مقدمون عليها والتى سوف نخلص عميلتنا من متاعبها بصفة نهائية ..

وعقب الليلة المطرة صباح بهيج ظهرت فيه الزهور التى تغطى المرج أكثر رونقا وجمالا عن ذى قبل بينما سرت أنا وهولمز فوق الرمال نملأ رئتينا من نسيم الصبح المندى ونستمع إلى الهمسات الرقيقة المنبعثة من أنفاس الأشجار الحالمة وأجنحة الطيور المبللة بأنداء الضباب وتمتع النظر برؤية الزهور برية جميلة والضباب هنا وهناك فتصبغ الأفق الباهت بالوان شعرية جميلة والضباب يتبدد في غلالة ذهبية تحلو للعين رؤيتها وعلى ربوة مرتفعة بالقرب من تلال كروكسبرى أمكننا مشاهدة قصر

شارلينجتون البعيد وهو يتصاعد من بين دوح السنديان الكهلة والتى رغم ذلك تبدو أقل عمرا من البناء نفسه . وأشار هولمز إلى نقطة سوداء تتحرك في الأفق البعيد ، فما لبثنا أن عرفنا عربة قادمة في اتجاهنا فأبدى هولمز دهشته قائلا :

❁ لقد قررت لمجيئها نصف ساعة و،لو كانت هى التى تركها فلابد أنها عدلت عن ركوب قطار الظهر الذى اعتادت ركوبه ولحاق القطار الذ قبله وكل ما اخشاه يا واطسون هو أنها تصل فى سيرها إلى شارلينجتون قبل أن نستطيع مقابلتها .

وبينما نحن نسرع وقد تحولت كل قوانا إلى سيقاننا أن الذى عثرت بربوة لم أتمالك بعدها نفسى من السقوط بعكس هولمز الذى قضى مدة طويلة فى التدريب على الجرى فلم تعثر قدمه مثلى فسبقنى فى العدو ولكن حدث فجأة وهو على بعد نحو مائة ياردة أمامى أن وقف فجأة ورأيته وهو يلوح بيديه علامة على الفشل واليأس بينما فى نفس اللحظة برزت العربة خالية من المنعطف في طريقها إلينا وإذا بالجواد يصهل فى صوت مخيف وقد تدلت الأعنة فوق عنقه !!

وصاح هولمز وكنت قد بلغته :

❁ لقد جئنا متأخرين يا واطسون !!.. متأخرين جداً إننى أحمق لعدم محاولتى اللحاق بقطار مبكر . نحن إزاء جريمة اختطاف هل تفهم يا واطسون !! اختطاف وقتل والله يعلم ما اقول .. اعبر الطريق وامسك بعنان الجواد .. نعم هكذا .. والآن اقفز إلى داخل العربة ودعنا نر ما اذا كان فى الامكان أن نصلح غلطتنا .

ولم تمض لحظة حتى كنل في جوف العربة الصغيرة وبعد أن عكس هولمز اتجاه سيرها الهب الجواد بالسوط فمضى فى طريقه كأنه البرق الخاطف وما أن انعطفنا فى الانحناء حتى وجدنا الطريق كعادته خاليا من كل شيء ولكن غير أنى لم البث أن صحت بهولمز وأنا أجذبه من ذراعه :

❁ أنظر !!

وأشـــــرت نحو نقطة ســـوداء تبدو من بعد وأخذت تكبر رويداً رويداً وعدت أقول :

❁ هذا هو الرجل يا هولمز ..

وكان مسرعا بدراجته وكأنه أفرغ كل قوته فى ساقيه اللتين يدير بهما (البدال) لدرجة خيل إلى أنه في حلبة سباق ويخشى فوز آخر عليه .

ورفع وجهه الملتحى فجأة فاصفر وشحب حتى حاكى وجوه الموتى واضطربت ساقاه وسرت فى بدنه رعشة لم تخف علينا ولكنه مالبث أن جمع شتات نفسه وقفز من فوق مقعد الدراجة وقطع على العربة طريقها بعد أن أسند مطيته إلى صخرة على جانب الطريق وصاح فى صرت قوى :

- قف عندك من أين أتيت بهذه العربة .. آمرك بالوقوف ورأيته وهو يخرج طبنجته من جيبه الجانبى .
- قف بحق السماء وإلا صوبت نحو الجواد وقتلته .

وألقى هولمز العنان من يدى وهبط إلى الأرض قائلا :

- إنك الرجل الذى طالما وددنا رؤيته .

فارتجف الرجل وسأله :

- ماذا تقصد يا سيدى ؟
- لا داعى من المواربة .. أين مس فيوليت سميث .
- بل أنا الذى سوف أوجه إليك هذا السؤال . إنك كنت فى عربتها ولابد أنك تعرف مقرها .
- لقد قابلنا العربة فى الطريق وكانت خالية فأوقفناها وعدنا بها لنساعد مس سميث .

فزفر الرجل زفرة هائلة وراح يقول :

● يالله .. يالله . مـاذا أنا فـاعل الآن . لقـد نالوها نعم أنه الكلب وودلى والكلب الآخر . تعـال يا رجل معى اذا كنت حقيقة تود مساعدتها . قف بجانبى وسوف أنقذها حتى ولو كـان مصيرى هو الموت الأكيـد والقـائى جيفة نتنة تنهشها وحوش شارلينجتون !

قال هذا وتقدمنا ولا تزال يده قابضـة على الطبنجة ثم اخترق فجوة بين الأغصان فتبعه هولمز وأنا خلفه بعد أن ربطت عنان الجواد بصخرة ناتئة

وأشار الرجل الغريب إلى آثار أقدام كثيرة مطبوعة فوق الأرض المبللة وقال :

● لقد سلكوا هذا الطريق ..

ولم يكمل قوله بل وقف وصاح :

● من هناك فى الداخل ؟!

ولما لم نسمع صوتا تقدمنا إلى حيث أشار فاذا بجثة صبى يناهز السابعة عشرة يرتدى ثياب سياسى الخيل ممددة على ظهرها وقد لرتفعت ركبتاه وشجت رأسه وكان حيا رغم فقدانه حاسة

الشعور وعندما القيت نظرة على الجرح اتضح لى أنه سطحى لا خوف عليه منه .

وقال الغريب :

* انه بيتر السائس الذى كان يقودها فى العربة . لقد اختطفوه الوحوش وهووا على رأسه بهراوة .

وسكت لحظة ثم استطرد :

* دعوه حيث هو فليس فى استطاعتنا مساعدته الآن لننقذ الفتاة من شر مصير ينتظر أنثى .

واخترقنا طريقنا وسط الغصون المتعانقة حتى وصلنا أخيرا إلى الأدغال التى تحيط بقصر شارلينجتون فاوقفنا هولمز قائلا :

* إنهم لم يذهبوا بها إلي القصر .. هاهى أقدامهم تنحرف إلى اليسار .. هنا بجوار شجر الغار ...آه ... هذا ما توقعته :

وبينما كان يتكلم اخترقت صماخ آذاننا صرخة رهيبة .. صرخة امرأة ملأها الرعب والفزع انبعثت من بين الأدغال وما لبثت أن انتهت بصوت رفيع حاد تلاشى فى الحال !!

وصاح الغريب وهو يفسح لنفسه طريقا من بين الغصون :

❁ من هنا . من هنا . آه .. ويل للكلاب . اتبعونى أيها السادة وأسرعوا هيا لم يعد هناك وقت وفجأة رأينا أنفسنا وسط بقعة فسيحة من الأرض محاطة بأشجار الصنوبر الضخمة وتحت ظل دوحة كبيرة شاهدنا ثلاثة أشخاص . أحدهم امرأة وهى عميلتنا مس سميث وكانت مغمى عليها بينما عقد منديل حول فمها وكأنهم أشفقوا أن تعود إلى الصياح بعد الصرخة التى أرسلتها وفي الجهة المقابلة وقف الرجل ثقيل الظل المدعو وودلى وقد عرفته بشاربه الأحمر وهيئته المقيتة وقد تدلى من يده اليمنى سوط طويل رفيع وكان واقفا وعلى وجهه سيمات الإنتصار والفوز المبين وبينهما كان الثالث وهو رجل كبير السن قد وخط الشيب شعر رأسه ولحيته المدببة يرتدى جاكتة قصيرة من التيل الخفيف وكان يبدو عليه أنه أنتهى من عقد زواجهما قبل مفاجأتنا لهم مباشرة اذ وجدناه يخفى كتاب الصلاة فى جيبه عند ظهورنا أمامه وفى حركة وقحة مد يده الكبيرة وصافح وودلى مهنئا ..

فقلت :

❁ اذن فقد تم الزواج !!

عندئذ صاح الرجل الغريب :

❁ هيا .. هيا ..

ولكننا وجدنا ويليامسون القسيس السابق ينحنى إليه في سخرية مريرة بينما تقدم بهيئته البشعة وهيئته المتوحشة وجعل يقهقه ويقول للرجل الغريب :

❁ تستطيع الآن أن تنزع لحيتك يا بوب اذ لا داعى لتنكرك حسنا لقد جئت في الوقت المناسب مع صديقك لأقدمكم إلى مسز وودلى .

وكان جواب رجلنا الغريب غريبا إذ انتزع لحيته وضرب بها الأرض قيدا من تحتها وجهه الأبيض الحليق وصوب طبنجته نحو وودلى الذى كان يهز السوط في يده قائلا :

❁ نعم .. فأنا بوب كاروثرز .. لقد هددتك إلى ما سوف يصيبك منى اذا عدت لمضايقتك لها واقسم بالله سوف انفذ وعيدى ..

❁ لقد جئت متأخرا يا عزيزى فهى الآن زوجتى .

❁ كلا بل هى ارملتك .

قال هذا وهو يضغط على اضراسه ثم أطلق طبنجته على وودلى الذى انفجر الدم من بطنه ثم سقط على الأرض لساعته

وقد استحال وجهه الأحمر البغيض إلى لون آخر شاحب مصفر بينما سقط فك الآخر دهشة من هول ما رأى ولكنه ما لبث أن أخرج مسدسه من جيبه الخلفي وقبل ان يطلقه وجد هولمز شاهرا مسدسه في وجهه وهو يقول في صوته الهادىء :

❁ يكفى جرائم .. اخفض مسدسك .. التقطه يا واطسون .. اشهره في وجهه .. شكرا .. وأنت يا كاروثرز اعطنى طبنجتك سوف لا تضطرانى إلى معاملتكما بالقوة ..

وقال كاروثرز :

❁ ولكن من أنت ؟!

❁ إننى أدعى شرلوك هولمز ..

❁ يا لله !!

❁ إذن فقد سمعت عنى .. سوف استدعى رجل البوليس المحلى فأياكما وأن تتحركا ..

قال هذا واستدعى غلاما كان يطل برأسه من نهاية الدغل :

❁ تعال هنا .. اركب إلى محطة فارنهام بأسرع ما تستطيع وسلم هذه الرسالة إلى رجل البوليس هناك ودعه يحضر معك تحت كلمل مسئوليتى ..

❁ وبعد أن كتب بضع كلمات على ورقة صغيرة انتزعها من مفكرته وناولها للغلام .

وبعد انصرافه أمر هولمز ويليامسون وكاروثرز بحمل وودلى إلى القصر بينما اسندت الفتاة وسرت خلفهما ..

وبعد أن وضع الجريح على الفراش أخذت على عاتقى واجب العناية به بعد استشارة هولمز بينما اقتاد هذا أسيريه إلى غرفة المائدة وجلس أمامها شاهرا مسدسه وبعد أن خرجت من حجرة الجريح قلت :

❁ إنه سوف يعيش ..

وعندئذ هب كاروثرز كأنما لدغته أفعى سامة وصاح :

❁ ماذا ... بل سوف أقضى عليه قبل أن أجعل مس فيوليت سميث .. الملاك ترتبط بذلك الوحش جاك وودلى برباط الزوجية إلى الأبد .

فقال هولمز :

❁ ليس لك شأن به لأن عندنا سببين قويين يبطلان الزواج أولهما كيف خول مستر ويليامسون لنفسه حق زواجهما ؟

فقال القسيس الجرم :

❊ لقد كانت هذه هى مهنتى ..

❊ ودون أن ترتدى (الفراك) الخاص بذلك ؟

❊ لا تأثير للثياب فى العمل فالقسيس قسيس بغض النظر عما يلبس ..

❊ لا أظن .. ومن أين أحضرت وثيقة الزواج ؟

❊ إن عندى دفتراً للوثائق وهو فى جيبى الآن

❊ إذن فقد تحصلت عليه بخدعة ولكن على كل حال فان الزواج القهرى ليس بزواج بل هو جناية كبرى والآن وقد وقعت في شر اعمالك فسوف يكون لديك الوقت الكافى للتفكير خلال العشر السنوات التى ستمضيها في غياهب السجون . هذا اذا كنت مخطئا فيما قدرت وحكم عليك باكثر منها وأما أنت يا مستر كاروثرز فيستحسن وضع طبنجتك في جيبك .

❊ أظن ذلك يا مستر هولمز ، غير أنى كلما أتذكر وسائل الحماية التى أقدمت عليها من أجل هذه الفتاة التى كنت أحبها من أعماق قلبى (وهذه أول مرة وقعت في طعم الحب) أقول كلما اتذكر أننى فشلت فى حمايتها أنقلب وحشا مجنونا ويطوف بى طائف من الشر ويختلط على

كل شيء وتبدو لى الحياة شيئا رخيصا لا تستأهل العيش فيها ، لك أن تتصور شعورى يا مستر هولمز عندما أعلم أنها وقعت بين مخالب ذلك الوحش المقيت الذى كان وجوده فى جنوب أفريقيا يبعث الرعب في القلوب .. الرجل الذى امتد صيته القذر من كيمبرلى إلى جوهانسبرج .. إنك لا تصدق ما أقول يا مستر هولمز . ولكن منذ الوقت الذى ساعدت فيه هذه الفتاة باستخدامها عندى وأنا لا أتركها تسير منفردة دون أن أتبعها خوفا من هؤلاء القتلة الكلاب أن يصيبوها بسوء .. لقد كنت دائما احتفظ بالمسافة التى بينى وبينها وأنا أقتفى أثرها فوق دراجتى متنكرا بلحية مزيفة لا تتعرف على لأنها فتاة شريفة ولو اكتشفت أمرى لما مكثت فى بيتى يوما واحدا ..

وقاطعه هولمز قائلا :

❁ ولكن لم لم تنبهنا إلى الأخطار التى تحيط بها ؟

فأجاب :

❁ خشية من أن تغادر بيتى وهى صدمة قاسية ليس فى قدرتى تلقيها لأننى وان لم تبادلنى حبى كنت قانعا

برؤيتـهـا تروح وتجيء فى بيـتى كـالملاك الطاهر البـرىء قانعا بسماع صوتها العذب الحنون الذى أحيا آمال قلبى المضطرم تـسعـدنى وتؤرقنى .. لقـد جننت يا مـسـتـر هولمز وطالما وددت أن تكون بجـانبى على الدوام حـتى أنعم بما ينعم به غيرى من راحة وهدوء وبال .

وعاد هولمز يقول :

❁ حسنا يا مستر كاروثرز انت تسمى هذا حبا ولكنى أسميه أنا أنانية !!

❁ ربما كـان الاثنان معـا .. فـفي الحالتين لم أكن اطيق بعدها وإلى جـانب هذا فـهى في حاجـة إلى رجل يقف بجـانبـهـا ويرعى شؤونها وعندما وردت البرقية إلى تنبأت بأن هذه الوحوش سوف تتحرك ..

❁ أى برقية ؟

فاخرج كاروثرز برقية من جيبه وقدمها إلى هولمز قائلا :

❁ هذه هى ...

وكانت تحوى ثلاث كلمات فقط هى :

" لقد مات العجوز "

وبعد أن ألقى هولمز عليها نظرة قال :

❁ ها .. قد بدأت أفهم بوضوح المسألة إذن فقد حركتهم هذه البرقية ولكن بعد لحظة سأسمع منك كل شىء .

وما سمع ويليامسون جملة هولمز حتى انفجر صاخبا شاتما كاروثرز :

❁ بحق السماء لو وشيت بنا لأذيقنك من نفس الكأس التى جرعتها لجاك وودلى .. لك أن تروى قصة حبك للفتاة كما تريد فهذا من شئونك الخاصة أما إذا أدرت دفة حديثك نحونا فسوف يكون هذا أسوأ يوم في حياتك القذرة .

فقال هولمز وهو يشعل غليونه :

❁ ولكن الأمر لايحتاج لتهديدك أيها الأب الموقر فالأدلة كلها تشير ضدك وكل ماأريده هو بعض تفصيلات بسيطة أشبع بها حب استطلاعى الخاص فسواء ذكر ماهدته من أجلة أو لم يذكره فلايهم لان القضية قد تمت عناصرها الآن فهو أإ لم يتكلم فسوف أتكلم أنا وعندئذ سترى كيف توصلت إلى معرفة أسرارك التى تحافظ على كتمانها .

وجذب هولمز نفسا من غليونه ثم استطرد :

❁ أول كل شيء أنكم قدمتم أنتم الثلاثة من جنوب افريقيا أنت ياويلیامسون وأنت يا كاروثرز وأنت ياوودلی .

وعندئذ صاح ويليامسون في وقاحة :

❁ هذه هی الكذبة الأولى لأنى لم أر أحــدا منهم إلا منذ شهرين !! بل ولم تطأ قدمی يوما من الأيام صوب افريقيا فلك أن تضع جملتك هذه في غليونك وتدخنها يامستر زيبودی هولمز .

وأمن كاروثرز على كلامه قائلا :

❁ نعم ان ما يقوله صحيح يا مستر هولمز !

وعاد هولمز يقول وقد تضرج وجهه النحيل بدماء الخجل :

❁ حسنا .. حسنا .. اثنان منكما كانا فی جنوب افريقيا واما الأب الموقر فقد انضــم من هنـــا .. وتعرفتمـــا هناك برالف سميث سوف ترث ثروة طائلة .. ها .. ما رأيكما الآن ؟!

فنفى كاروثرز كلام هولمز بهــزة من رأســه بينمــا أقسم ويليامسون أنها الكذبة الثانية ...

واستطرد هولمز :

❁ وكانت مس فيوليت سميث هى أقرب الأقربين له فأشفقتما أن يموت مورثها دون أن يترك وصيته .

فصاح كروثرز .

❁ لقد كان أميا لايعرف القرأة ولا الكتابة .

ولم يبال صديقى بقوله .

❁ ولذا فقد جئتما أنتما الاثنين لتنصبا الشراك حول الفتاة وكانت الفكرة التى اعتلت في رأسيكما هى أن تتزوج الفتاة بأحدكما ، بينما يأخذ الآخر نصيبه من الغنيمة ولسبب من الأسباب إختار جاك وودلى أن يكون الزوج لم ذلك ؟

❁ لقد لعبنا الورق ، نحن في طريقنا إلى هنا فالغالب منا تكون من نصيبه .

❁ فهمت .. استخدمت بعد ذلك الفتاة عندك بوظيفة مدرسة للموسيقى وأحب وودلى أن يستميلها إليه غير أنها نفرت منه وعندئذ تغيرت الخطة لأنك أحببت الفتاة في الوقت نفسه فلم تحتمل فكرة أن ينالها منك وودلى .

فصاح كاروثرز :

* كلا والله لم أحتمل ذلك .
* ولهذا السبب نشب الخلاف بينكما حول امتلاك الفتاة فتركك في لحظة غضب وجعل يدبر خطة جديدة يفسد بها خطتك .

وبدت علائم الدهشة ترتسم على وجه كروثرز الذى قال لويليامسون وهو يبتسم في مرارة :

* ها أنت ذا ترى ياويليامسون أن مستر هولمز يعرف كل شيء دون أن انبأه .. نعم فقد تشاجرنا من أجل الفتاة وصرعنى بلكمة قوية ثم خرج ولم أره بعد ذلك وفهمت أن في نيته أن يعمل لنفسه وتحقق ظنى فقد اشترك من ويليامسون وأتخذا قصر شارلينجتون مقراً لهما يحيكان بين جدرانه خيوط المكيدة التى ستؤدى بالفتاة ولم أجد بدا من ناحيتى إلا أن أجعل عينى مفتوحتين وأزيد من رعايتمس فيوليت سميث وحمايتها حتى آمن عليها في غدوها ورواحها ولم أكن أرى وودلى أو زميله إلا نادراً حتى جاءنى الأول منذ يومين ومعه هذه البرقية التى تشير إلى موت العجوز رالف سميث في جنوب افريقيا وسألنى أن أعود إلى الأتفاق معه على الصفقة فلم أقبل فعرض على أن أتزوج بالفتاة وأعطيه مايخصه من الغنيمة فرفضت لأن الفتاة لم ترغب في الزواج بى فقال لى :

فرفضت لأن الفتاة لم ترغب في الزواج بى فقال لى :

* لتتزوج بالقوة ولاشك أنها سوف تجد نفسها أمام الأمر الواقع فترضخ .

فأجبته :

* إن زواج القوة لايعد زواجا وليس لى أن أضطرها إلى فعل شيء خارج عن إرادتها .

وما أن سمع مافهت به حتى صب جمام غضبه وخرج وهو يهدد ويتوعد قائلا أنه سوف ينالها رغم أنفى .

وعندما غادرت في نهاية الأسبوع كعادتها لتعود لأمها كنت قد أعددت لها العربة لنقلها إلى محطة فارنهام مع سائسى المدعو بيتر وقد كنت غبيا أحمق لأننى لم أرافقها ثم سرعان ماركبت دراجتيوسرت خلفها وبلن لسوء الحظ لم ألحق بها حتى أحول دون وقوعها بين براثن هذين الرجلين ولم أعلم ما حدث إلا عندما قابلتكما في الطريق والعربة خالية منها ..

وقال هولمز وهو ينفض غليونه موجها كلامه إلى :

* لقد كنت خاملا ولكن الجملة التى ذكرتها في تقريرك وهى إنك رأيت الرجل الغريب بقرب الدغل وهو يرفع

زراعيـة فظننته يصلح من رباط عنقـه افـهمتنى كل شيء وبعثت في نفـسى الحمـاس الكافى لأن أهتم بقـضيـة هى الأولى من نوعـهـا في تاريخ حـيـاتنا الحـافلة بالقـضـايا الشاذة ..

وصب نظره إلى الطريق وقال :

❁ أرى ثلاثة مـن الكونسـتـبـلات الوطنيـين قـادمين في عـربة ومـعـهم الغـلام والسـائس بيـتـر ويختـمل إلى أنه استـرد عـافـيـتـه والآن أظن ياواطسـون إننا سـوف نـسـتـفـيـد من مـهنتك كطبـيب في إفـاقـة مس فـيـوليت سـمـيث وتبـعث الأمل في نفسـها بتـفـهـيـمها أن زواجها من المدعـو وودلى باطل وأنهـا سـوف تعـود إلى أحضـان أمـهـا معـززة مكرمـة وسـوف أبرق بدورى إلى خطيـبهـا مـسـتـر سـيرسـيل مـورتون المهندس الكهـربائى بشـركـة الكهـربـاء المحليـة . بكوفـتـرى كى يعنى بها ..

وأمـا من جهـتك يامسـتر كـاروثرز فـقد فعلت كل مـا استطعت لكى تحصل على نصيبك دون أن تحكم عقلك وتعرف أنك بعملك اندمجت في مؤامرة قذرة وها هى ذى بطاقـتى ياسيـدى وثق إننى على إسـتـعـداد لمساعـدتك عندمـا أتقدم بشـهـادتى إلى المحكمـة وأدلى بـرأيى ..

وفي أثناء هذه الحوادث التى كانت تسير بعضها خلف بعض والتى جعلتنا في حركة مستديمة كما يلاحظ القارىء وأنا أسردها عليه كانت كل حادثة تبدو وكأنما هى تمهيد للأخرى التى تليها حتى كانت النهاية التى غطت ماقبلها من الحوادث ..

ومضت الأيام وغمرتنا قضية أخرى نسينا على أثرها شخصيات قضية الرجل الغريب حتى أعدها إلى ذهنى خبر قرأته مصادفه في جريدة مسائية يتضمن الثروة الكبيرة التى ورثتها المس فيوليت سميث عن عمها المرحوم رالف سميث الذى كان قد هاجر منذ أكثر من ربع قرن إلى جنوب افريقيا ليجرب حظه في مناجم الذهب التى اكتشفت وقتئذ بجوهامسبرج وقد تزوجت بالمستر سيريل مورتون مدير شركة (كورتون وكندى) للكهرباء بوستمنستر بينما حوكم ويليامسون ووجاك وودلى بتهمة الاختطاف ونفذ الحكم على الأول بالسجن سبع سنوات وعلى الثانى بعشر سنوات وأما كاروثرز غلم أسمع عنه شيئا ولكنى واثق من أن القاضى رأف به نظراً لأنه كان يسعى لحماية الفتاة ويغلب على ظنى أنه لم يحكم عليه بأكثر من بضعه شهور .

سر الحائكة الفرنسية

دعتنى ظروف قهرية لترك شارع بيكر الذى كنت أسكن فيه مع صديقى شرلوك هولمز فذهبت إلى فرنسا لإنهاء بعض الأعمال التى اقتضت مكوثى فيها فترة طويلة كنت أتراسل خلالها مع هولمز وكنت قبل هذا اليوم الذى ابتدىء فيه قصتى قد ارسلت خطابا إليه بعنوان بيكو ستريت أستدعيه لقضاء بضعة أيام في فرنسا بلاد الجمال والنور عسى أن يجد فيها وقتا يستريح من القضايا التى أنهكته وأدت إلى ضعفه أخيراً .

لكن حدث أمر غريب دفع بى إلى إرسال برقيه إليه أتعجل فيها حضوره وقد أرسل إلى بدوره نبأ بقدومه في يوم حدده لى كى أنتظره ..

وجاء اليوم وحرصت على عدم الخروج وساعدنى على ذلك الريح التى كانت تعصف في الخارج وقطرات المطر الدقيقة التى كانت تنقر على زجاج النوافذ نقرات منتظمة كأنها أصابع خفيفة مرتعشة لشخص يود الدخول والإحتماء بالغرفة ولكنه خائف متردد ..

حان ميعاد قدومه ...

ومرت الدقائق طويلة مملة وتخيلت الدقائق ساعات وأنا على أحر من الجمر فتارة يدفع بي الفكـــر على أنه عـــدل عن المجيء لعذر قهري وتـــارة أتخيل حصول حادث ذهب ضحيته فتسرى في بدني رعدة شديدة وحـــاولت أن أبعد هذه الأفكار السوداء عن ذهني بالقيام من مقعدى وذرع الغرفة جيئة وذهابا وأنا بين اللحظة والأخرى أرسل بصرى من خـــــلال زجاج النافذة التى تتدحرج على صفحتهـــا قطرات المطـــر كأنها دموع انفجرت عنها عين حسناء فتدحرجت على خدها الأسيل ..

وأخيرا أشعلت السيجارة الباقية لدى وجعلت أرقب دخانها المتصاعد في حلقات مستديرة مرتبطة بعضها إلى بعض ..

وكـــدت أيأس من حـضـــوره عندما طـــرق البـاب وأنا أطفىء الجزء البـــاقى من السيجارة ودخل هولمز فجـــأة بقوامه النحـيل وعلى فمـــه تلك البسمة الهـــادئة وسمعت صوته المألوف يقول :

* ماذا حدث ياواطسون .. ألديك أمر هام دعاك إلى إرسال هذه البرقية المقتضبة . إنى فزعت يارجل !!

قال هذا وهو يخلع معطفه الأسود الثمين الذى بلله ماء المطر ولم أجبه إلا عندما أتخذ مقعده بجوار المدفأة فقلت :

* لقد حدث أمر غريب ياهولمز حرت في تعليله وسرغوره غير أنى فشلت !!

سالت بسمة تهكمية على جانبى شفتيه الرفيعتين وقال :

* طبعا فشلت .. ماذا حدث ياواطسون ؟

* قبل أن أسرد عليك القصة أرجو أن ترى هذه الصورة .. لقد ابتعتها منذ أسبوعين من أحد المخازن والصورة في حد ذاتها لم ترقنى ولكن الذى أعجبنى هو الإطار الذى يحيط بها ..

وجعل يفحص هولمز الصورة بعينيه المتفرستين اللذين يشبهان عينى الصقر وقال :

تقول أن الصورة لم ترقك .. إذن فأنت لاتفهم شيئا في الفن .. انظر إلى هذه المظلة الحجرية القائمة على الأعمدة الضخمة كأنها إحدى أبنية الاغريق ثم إلى هذه المزولة القريبة منها وإلى النهر الصغير الذى ينساب في رفق ولين والمقاعد الحجرية .. لعمرى إن الفن الاغريقى ليتجلى في كل جزء من أجزاء هذه الصورة النادرة إنها تحفة تستاهل أكثر من وزنها ذهبا !!

* ماحسبتك ياهولمز شاعرا قبل اليوم ولكن دعنا مما تقول وانظر إلى هذه الأرقام المكتوبة في ركن الأطار .. هل تراها ١٥-٤-٢- أو بمعنى آخر فهى اليوم الخامس عشر من شهر إبريل عام ٢ ..

ثم فتحت درج مكتبى وأخرجت منظارى المكبر من صندوقه الجلدى الأسود وثبته على حامله وصوبته نحو المنزل المقابل لمنزلى وقلت له :

* والآن انظر إلى النافذة المفتوحة .....

فتقدم هولمز إلى المنظار وجعل يدير عدساته حتى وجدها ملائمة لعينه وبدا المنظر أمامه واضحا وقال :

* غرفة بسيطه تدل على رقة حال ساكنيها .. ليس فيها إلا فراش كبير عادى .. وآخر يمتاز عنه بصغره ..

* وعلى الحائط ماذا ترى ؟!

* آ..ه هناك صورة أيضا .. يالله .. إنها نفس الصورة التى لديك ..

* نعم .. فهى نفس الصورة ياهولمز دقق النظر أيضا في ركن إطارها الأيسر .. هل رأيت ؟

نعم .. نعم ..نفس الأرقام وهى منقوشة باللون الأحمر .. ١٥-٤-٢ ...

ورفع هولمز عينيه عن المنظار ثم سألنى :

● ومن يسكن هذا البيت ؟

لقد تحريت عنها فعلمت أنها أرملة تعيش بما تدره عليها إبرتها من ربح ..

وقاطعنى هولمز ؟

هل عرفت اسمها ؟

● نعم فهى تدعى لويز ديرتمونت ويقال إنها تنتمى إلى أحد نبلاء فرنسا الذين طوحت رأسهم المقصلة في عهد الثورة .

ففكر هولمز لحظة ثم قال :

● نعم تذكرت ديرغمونت هذا فقد أعدم في اليوم الذى أعدم فيه اندريه شينييه وكان ديرغمونت يعد من أكبر نبلاء فرنسا ثراء . ولكن متى عثرت على هذا التوافق الغريب بين صورتك والصورة التى تملكها لويز ديرغمونت ؟!

● منذ عشرة أيام تقريبا ..

فبدا الغيظ على وجه هولمز وضرب الأرض بقدمه وصاح :

❁ منذ عشرة أيام ولم ترسل إلى وقتها ؟

❁ كنت أنتظر حلول اليوم ولو كلفت نفسك مشقة النظر إلى النتيجة المتواضعة الملصقة على يمينك لأدركت على الفور أننا في ١٥ إبريل أى نفس التاريخ المنقوش على اطار الصورتين .

وماذا حدث اليوم ؟

❁ لقد سمعت مصادفة بواب المنزل وهو يتحدث إلى بعض رفاقه قائلا إن يوم ١٥ ابريل هو أهم يوم في حياة لويز ديرنمونت ...

❁ وهل علمت ماذا يجد عليها في هذا اليوم ؟

❁ نعم فهى طوال العام تكد وتنهك نفسها بالعمل المضنى الشاق . تصل ليلتها بنهارها في خياطة ثياب زبائنها ولاتخرج من بيتها إلا عند الضرورة القصوى فتلتحف بشال رث لايحمل لونا خاصا نظراً لقدمه ومرور الأعوام عليه وتحمل في يدها اليمنى سلة قد تقصفت عيدانها وهدم شكلها وتضع على عينيها التى كاد يذهب بضوئها شغل الابرة المستمر وتذهب إلى السوق لتبتاع مستلزمات المنزل وحاجاته الضرورية ثم تعود إلى بيتها مطرقة

الرأس فتطهى الطعام ثم تستأنف عملها في غير ماهوادة ولا رحمة حتى إذا هل يوم ١٥ ابريل من كل عام خرجت مع ابنتها ..

وهنا قاطعة هولمز :

* ألها ابنة ؟ انك لم تذكر لى ذلك ؟!

* لعلى نسيت .. أقول تخرج مع ابنتها في نحو الساعة العاشرة صباحا ولا تعود إلا عندما يلقى الظلام ستاره على الكون وتغمر العتمة كل شيء .. ولم يحدث مرة طيلة هذه الأيام أن تخلفت عن خروجها في ذلك اليوم مهما عاقتها العوائق ووقفت ف سبيلها الحواجز ..

وقاطعنى هولمز للمرة الثانية :

* هذا بديع وغريب في الوقت نفسه أكمل قصتك ياواطسون

* هذا كل ما أمكننى معرفته .. فأنت ترى معى ضرورة وجود سر تحرص هذه العجوز على كتمانه .

* نعم .. إن رأيك في محله ولكن ألم تحاول مرة أن تعرف المكان الذى تقصده هى وابنتها في مثل هذا اليوم من كل عام ؟

❁ نعم لقد حاولت ذلك بكل ماأوتيت من جهد ولكن مساعى كللت بالفشل وذلك لعزلتها التامه وعدم وثوقها بأحد تأتمنه على سرها الدفين كما أنها لم تحاول قط أن تتصل بمخلوق .. حتى جيرانها وهى أبدا مطرقة الرأس دائمة الصمت لاتتكلم إلا بمقدار .

❁ وهل أنت واثق من صحة هذه المعلومات التى توصلت إلى معرفتها ؟

❁ ثقتى بوجودى أمامك ياصديقى ..

وحانت منى نظرة عندئذ إلى النافذة فرأيت العجوز وابنتها فصحت به وأنا أجذبه من ذراعه نحو النافذة :

❁ تعال وانظر بنفسك ...

وكانت الطفله في نحو السابعة من عمرها وكانت على شىء من الجمال ووقفت خلفها كالمومياء المحنطة عائرة العينين حتى لتكادتبدو عظامها من جسمها الضامر مريدة الجبين مجعدة الوجه قد ارتسمت على محياها بسمات الحزن العميق والكآبة إلى أقصى حدودها ورغم بساطة ملابسها الرخيصة التى كانتا ترتديانها فهى تبدو على ذوق مقبول وعناية فائقة ولم تلبثا لحظة سحبت الأم بعدها ابنتها من ذراعها وخرجتا من الحجرة ..

ومد هولمز يده إلى القبعة فوضعها على رأسه بسرعة وقال :

* هيا بنا إنهما سيخرجان وسوف نتبعهما عن كثب لنعلم المكان الذى اعتادتا الذهاب إليه كل عام .

ولبست أنا الآخر قبعتي وما أن هبطنا السلم وصرنا أمام الباب حتى وجدناهما يدخلان حانوت خباز حيث ابتاعا منه رغيفين وضعتهما العجوز في السلة المهشمة التى كانت تحملها ابنتها والظاهر انها كانت تحوى أيضا بعض الاطعمة الجافة .. توجد الاثنان بعد ذلك إلى ميدان (النجم) ومنه إلى شـــــارع (كليير) ثم اتجهتا في الطريق الموصل إلى (باسى) .

وكان هولمز يسير بجوارى غارقا في بحار متلاطمة من التفكير العميق . وكانت تصدر منه بين اللحظة واللحظة حركة تدل على انه مازال في حيرة من أمر هذا اللغز الذى أغلق على كلينا ..

وانحدرت لويز ديرغونت هي وابنتها إلى شارع (رينوار) وهو شارع قديم قد رصت بعض الخرائب والمنازل القديمة المتداعية على جانبيه وكانت امثال فرانكلين وبلزاك وعيرهما .

ومن شارع رينوار انعطفتا في زقاق مظلم مهجور تنبعث منه رائحة تشمئز منها النفس إذ كانت مزيجا من الرطوبة والعفونة الناشئة عمن أهمال تنظيفها .

وأخيراً وقفت لويز ديرنمونت أمام باب حديد اعتلاه الصدأ مقوس الشكل يقع وسط حاجز متهدم سقط عنه بياضه ورشقت حافته العليا بقطع من الزجاج مدببة الأطراف كأنها المدى المشهورة في وجه كل من يحاول اجتيازه والسطو على مايقع خلفه

والتفتت العجوز حولها لتتأكد من خلو الطريق إلا منها ومن إبنتها وكنا نختفي وقتئذ في منحنى لم ترنا فيه ولما وثقت بأن ليس هناك من يرقبها دست أصابعها النحيلة في طرف ثوبها وأخرجت مفتاحا كبير الحجم ولجته في بطء شديد داخل الثقب وأدارته دورتين ثم دفعت الباب فصرت مفاصله التى أكلها الصدأ صريراً مزعجا خلناه حشرجة مريض في دور النزع الأخير ودفعت ابنتها إلى الداخل ثم تبعتها وعادت واوصدت الباب خلفها ..

ولم تمض لحظة بعدها حتى طرق آذننا وقع أقدام خافتة فالتصقنا بالحائط وإذا بشحاذين كهلين أحدهما رجل والآخر امرأة يمران بنا دون أن يريانا وما أن بلغا الباب المقوس الكبير حتى أخرج الرجل مفتاحاً كبيراً كمفتاح لويز ديرنمونت واولجه في الثقب للمرة الثانية وأداره دورتين انفتح على اثترهما الباب وبعد أن دخلا وأوصده خلفهما ..

وهمس هولمز في أذني .

❁ غريب بل منتهى الغرابة يخيل إلى أن ..

غير أنه لم يتمم جملته بل غرز اصابعه النحيلة فى ذراعى قائلا فى صوت هامس لايكاد يسمع :

❁ صه .. انظر ..!!

وسمعنا صوت قدوم سيارة فالتصقنا فى الحائط خوفا من أن يرانا راكبها ووقفت السيارة وهبطت منها فتاة فى العقد الثالث من عمرها وخيل إلينا عندما وقع بصرنا عليها أنها إحدى هؤلاء الحور اللواتى وعد الله بهن عباده فى فردوسه المقيم وكانت تحمل بين يديها جروا وكانت ترتدى ثيابا وجواهر يدل على أنها إحدى نساء الطبقة العليا وسارت إلى الباب الكبير وأخرجت من حقيبة يدها الصغيرة الأنيقة مفتاحا ثالثا فتحته ثم اختفت خلفه وأغلقت الباب ثانية وما كادت تتوارى عن عيوننا حتى همس هولمز فى أذنى :

❁ لاأدرى وايم الحق بأى صلة يرتبطون بعضهم ببعض وهم كما ترى مختلفو الهيئة بين كبير وصغير وغنى وفقير ...

ولفت نظرنا بعد ذلك سيدتان على غاية من الكبر ترتديان ثيابا مهلهلة خلقه إن دلت فهى تدل على فقر ليس بعده فقر ويظهر على ملامحهما المتشابهة أنهما شقيقتان وكان يسير خلفهما شخص يرتدى ثياب خدم القصور وآخر بملابس الجندى

المتقاعد وشخص ثالث تدل ملابسه المرقعة والممزقة فى معظم اجزائها أنه يعانى الفقر المدقع وخلف هذه الجماعة مختلفة الذى تسير أسرة تتكون من صانع وزوجته النحيلة وست أطفال والكل شاحبو الوجوه هزيلوا الأجسام تنبعث من أعينهم نظرات الذلة والمسكنة ولحظنا أن الجميع يحملون سلاسلا تختلف فى الحجم والهيئة وفيها ما ابتاعوه من أطعمة جافة .

وعندئذ هتفت فى آذان هولمز :

* يغلب على ظنى أن الفناء الذى يقع خلف هذا السور الكبير منتزه عام مخصص لاستنشاق الهواء !!

وكنت أقصد المزاح بقولى ولكن هولمز أخذها على محمل الجد وقال :

* أهذا هو رأيك بعد كل ما شهدت ؟!

وغضبت فى نفسى لهذا التعريض وسألته :

* وماذا تظن خلف السور إذن ؟

فهز كتفيه قائلا :

* للآن لم أكون لنفسى رأيا أستطيع أن أدلى به إليك أو إذا شئت الحقيقة فأنا فى حيرة ليس لها قرار ولكن ثق أنه سوف يستريح بالى حتى أكشف اللثام عن هذا اللغز الغريب ..

قال ذلك وجذبنى من ذراعي وجعل يصوب نظره إلى حافة السور الكبير المنغرز بقط الزجاج المدببة تارة وطورا يفحص البيتين المبنيين فى طرفيه غير أنه لم يحاول أن يتسلق السور وقطع الزجاج تحدق فينا محذرة !!

كذلك لم يحاول الوصول إلى بيت من البيتين لأن أبوابهما ونوافذهما كان يبدو عليها أنها محكمة الإغلاق !؟

وصدرت عندئذ من هولمز بعض كلمات لم أتبينها ولكنى عرفت أنه ساخطا متذمراً ثم قال :

● لا فائدة من التسلق سواء من فوق السور أو على بيت من البيتين فدعنا نفكر فى طريقة أخرى .

ومضت علينا ثلاثون دقيقة ونحن نقدح عقلينا فى إيجاد وسيلة تمكننا من الدخول دون أن نهتدى .. وفجأة إذا بالحظ يخدمنا ..

فتح الباب الكبير فى حذر وخرج منه أحد أبناء الصانع ثم أغلقه خلفه ورأيناه يسير صوب شارع رينوار وغاب بضع دقائق ثم عاد وهو يحمل فى كل يد من يديه قارورة مملوءة بالماء وعندما صار أمام الباب وضع القارورتين على الأرض ثم أخرج من جيب سرواله مفتاحا كبير الحجم فتح به الباب ودخل .

وقبل أن يقفل الطفل الباب خلفه وجدت هولمز يجرى نحو

الباب فى خطوات سريعة خفيفة ورأيته يدس يده فى جيبه ويخرج مطواه وضع نهاية شفرتها بالقرب من الموضع المخصص للسان الكالون ولما أغلق الطفل الباب وراءه لم يدخل اللسان فى مكانه فكان من السهل دفع الباب والدخول منه دون أى مشقة .

وأشار إلىّ هولمز فغادرت مكانى وما صرت بجانبه حتى قال فى صوت الظافر المنتصر :

* لقد نجحت الحيلة يا واطسون !!

ثم مد يده ودفع الباب فى بطء شديد حتى لا يسمع صريره ودخل فى حذر وأنا أتبعه على أطراف أصابعى وكان إلى جانب السور بعض فروع متسلقة كثيفة زرعت لتزيين المكان فاختفينا خلفها كيلا يرانا أحد ونظرنا من خلال الأغصان وقد عقلت الدهشة لساننا

وعندئذ صحت فى صوت مبحوح :

* ما هذا يا هولمز ؟! .. يخيل إلى أننا فى حلم !!

اذ كان الفناء المحدود بين البيتين المقامين على نهايتى السور يحوى منظرا غريبا لم نتوقع رؤيته

هو منظر يشبه تمام الشبه الصورة التى ابتعتها من أحد المخازن منذ أسبوعين .

واطلعت هولمز عليه ففى الجهة المقابلة للسور كانت تقع المظلة المستندة على الأعمدة الاغريقية المستديرة وفى الوسط شاهدنا المدرجات الحجرية المنحية وقد صفت فوقها المقاعد وإلى جانب المدرجات نهر صغير ينساب فى رفق ولين وقد ثبتت على شاطئيه بعض النباتات الطفيلية وإلى يسار البركة بئر عميق الغور تشبه كل الشبه البئر المنقوشة على الصورة وبالقرب منها رأينا المزولة التى كان يستعملها الناس فى تحديد الوقت !!

وكان عقد المدعوين قد انتظم ، فرأيناهم منتشرين فى الفناء زرافات ووجدنا بعضهم يجلس على المقاعد والبعض فوق المدرجات الحجرية المستديرة والبعض الآخر يسير فى خطوات وئيدة بسيطة ولكن الجميع اشتركوا فى شىء واحد هو تناول الطعام الذى أتوا به اللهم اذا استثنينا السيدة الموسرة التى جاءت في السيارة فقد انتبذت مكانا بعيدا عنهم وجلست ساكنة مطرقة برأسها غير أن لويز ديرنمونت ما لبثت أن أشارت عليها بمساهمتها الطعام فقدمت إليها قطعة من السندوتش وفعلت الشقيقتان العجوزتان والجندى المتقاعد مثلها ...

❁ لا زلت في حيرة من أمرى .. أى صلة تربطهم على اختلاف أعمارهم وهيئاتهم ومقدارهم فى الغنى والفقر وأى سر ذلك الذى جعلهم يتفقون على اللقاء فى هذا المكان الخرب النائى يوما محددا فى كل عام ؟! ولم اجبه

على سؤاله وانما لفت نظرى انهم بعد الانتهاء من الطعام وكان عقربا الساعة المثبتة حول معصمى يشيران إلى الواحدة إلا خمس دقائق ، رأيت الشحاذ العجوز يخرج من جيب سرواله غليونا قديما شوهه وغير لونه كثرة الاستعمال وفعل مثله الرجل البدين بينما بحث الأول فى جيبه عن شىء والظاهر انه نسى أن يبتاع تبغا فهمس ببضع كلمات إلى البدين الذى نسى بدوره استحضار صندوق الثقاب واشترك الاثنان فى ملء متبغيهما واتجها صوب المظلة الاغريقية وانتقيا مقعدا جلسا عليه وجعلا يتحدثان بصوت خافت لم يصل إلى سمعنا نظراً لطول المسافة التى بيننا وبينهما .

ولم يلبث بعد ذلك أن تراشق باقى الجماعة بالحديث كأنهم على معرفة سابقة والذى أثار انتباهنا هو سيدة السيارة التى كانت تأتى بحركات واشارات مختلفة وهى تحدثهم ...

ومضت برهة فوجئنا بعدها بصراخ شديد اتجه الجميع عقبه إلى ناحية البئر كى يستقبلوا أحد أبناء الصانع الذى كان خارجا منه إذ ذاك وقد شد وسطه إلى خطاف كبير الحجم مثبت بحبل غليظ مفتول مما يستعمل عادة فى ربط الدلاء ..

ودهشنا عندما وجدنا الجميع يهجمون عليه وكل منهم ينتزع جزءا من ملابس الطفل المبللة الملتصقة على جسده النحيل كأنما

هم يتخطفون أشياء غالية الثمن بينما جعل الطفل يصرخ ويبكى ويناضل بساعديه الصغيرين حتى شق سبيله وهرع إلى أمه مرتمياً بين أحضانها ...

وعندئذ قلت لهولمز :

❁ إنى اكاد أجن .. هل فهمت شيئاً إلى الآن ؟

فأجابنى وهو ذاهل :

❁ ما فهمت إلا أن هؤلاء القوم لا يتمتعون بنعمة العقل ..

هم مجانين بكل مافى هذه الكلمة من معنى .. ولكن انظر انظر . قال ذلك وهو يشير من فرجة بين الغصون المتشابكة .

كانت لويز ديرغونت تشير إلى الجمع تأمرهم بملازمة الهدوء والسكون ... ولكن شيئا جديداً لم يحدث بعد ذلك ..

وكانت الساعة قد بلغت الخامسة عندما سألت هولمز :

❁ وبعد . هل ستظل فى حيرة من أمر هذا اللغز الغريب ؟!

ولم يجبنى هولمز وإنما أشار إلىَ بالتريث والانتظار ..

وأخرج الرجل البدين ساعة كبيرة من جيبه ونظر فيها وتبعه الجميع ففعلوا مثله وبدا عليهم كأنهم ينتظرون شيئاً تعودوا ان يروه فى مثل هذا الوقت بالضبط غير أنهم يئسوا من ظهور هذا الشيء بعد مرور نحو ثلث ساعة فلوح البدين بيده وقد ارتسمت

على وجهه المكتنز علائم القنوط ثم انتصب واقفاً ووضع قبعته التي شوهتها البقع على رأسه الكبير وفعل الباقون مثله وتأهبوا للإنصراف

وسمعت صوت هولمز بالقرب من أذني يقول :

* هيا بنا نخرج قبل أن يلحظوا وجودنا ..

فتسللنا على اطراف أصابعنا وما ان أصبحنا في شارع رينوار حتى وجدت هولمز يتركني فجأة ويتجه إلى أول بيت في طريقنا وبعد أن وقف يتحدث مع حارسه ما يقرب من دقيقتين عاد لي عاقداً ما بين حاجبيه وقد ظهرت على وجهه علامات الإهتمام ... ومرت على مقربة منا عربة فاستوقفها هولمز وركب وأنا خلفه دون أن أفهم شيئاً وسمعته يقول للسائق إلى شارع تورين رقم ٣٤

ولم ينبس هولمز بكلمة طول الطريق بل كان جالساً ورأسه مستنداً على كفه وقد أغمض عينيه شأنه عندما يفكر كما إنني لم اسأله بدوري عن أي مكان نقصد إذ كان من عادته أن يروي إلي كل شيء عندما يحب ويعرف أن الوقت قد حان للإفصاح عما يجول في ضميره .

ووقفت العربة اخيراً امام المنزل رقم ٣٤ وعندما هبطنا منها

وجدنا لوحة نحاسية مثبته على باب الطابق الارضى تحمل اسم :

الاستاذ م . فالاندريــــــــــه
المحــــــامــــــى

وطرق هولمز الباب ففتح بعد لحظة وظهر خلفه رجل عميق العينين شاحب الوجه مبيض شعر راسه فسألنا :

❁ ماذا تريدان يا سادة ؟

فأجابه هولمز :

❁ هل لى شرف التحدث إلى الاستاذ فالاندرييه ؟

فأجاب الرجل فى أدب جم :

❁ نعم ياسيدى .. مع من لى الشرف ...

❁ إن اسمى الكابتن جاليو وأرجو لو تكرمت بمنحنا نصف ساعة من وقتك الثمين ...

وانحنى المحامى وهو يفسح لنا الطريق لندخل ثم قدم إلينا مقعدين وقال موجهاً كلامه لهولمز :

❁ هل من خدمة استطيع أن اؤديها لك ياسيدى الكابتن ؟

❁ نعم فإنى اريد أن أأنى بيتاً وقد أشار على بعض الاصدقاء بإبتياع الارض الموجودة بالقرب من شارع رينوار .

فهز الأستاذ رأسه قائلا :

❁ ولكن هذه الأرض ياسيـدى لم تعـرض للبـيع فى يوم من الأيام .

فأجاب هولمز :

❁ إذن فقد أخطأ اصدقائى عندما نصحونى بابتتياعها .

❁ أظن ذلك ياسيدى .

وقام الأستاذ فالاندربيه إلى خوان قريب ففتحه وبحث برهة ثم عاد إلينا يحمل صورة ماكدنا نتطلع إليها حتى إزدادت حيرتنا إزاء هذا اللغز الغريب الذى يبعد عنا فهمه كلما توغلت فيه ..

كانت الصورة نسخة ثالثة من الصورة التى عندى وعند لويز ديرغمونت !!

وأشار الأستاذ فالاندربيه المحامى إليها قائلا ؟

❁ أتقصد هذه الأرض ؟

فأومأ هولمز برأسه علامة على الإيجاب بينما استطرد المحامى

❁ لقد كانت هذه الأرض جزئا من حديقة كبيرة كان يملكها النبيل ديرنمونت الذى أعدم إبان الثورة الفرنسية ولما افتقر ورثته باعوا الحديقة إلا هذا الجزء الباقى ولا أظنهم يفرطون فيه اللهم إذا .

فصاح هولمز متلهفا : ❁ اللهم إذا ماذا ؟

فابتسم فالاندرييه ثم قال :

❁ فى الواقع هى قصة غريبة مشوقة وقد مضى عليها سنون طويلة ..

❁ وهل يعتبر تطفلا منى لو سألتك أن تتكرم بسردها ؟

❁ أوه .. كلا بالطبع وأنا من ناحيتى لا أجد مانعا من ذلك قال هذا وراح يسرد علينا أغرب قصة سمعناها :

❁ قبل أن تستعر نيران الثورة الفرنسية الرهيبة كان يحيا الشريف (لويس أجريبا ديرنمونت) مع زوجته آن وولده شارل وبولين حياة كلها رخاء ويسر وحدث أن سافرت آن ومعها ابنتها بولين إلى چنوا لسبب ظل مجهولا إلى الآن وقد وعدها زوجها لويس ديرنمونت بأنه سوف يلحق بها هو وشارل الذى تركته مع أبيه فى باريس .

وشبت الثورة فجأة واندلع لهيبها بين الفلاحين والنبلاء وإذا بكل شيء قد شمله البلى واحتوته النكبة وإذا هذه الأمواج المتدفقة من الشعب والغوغاء تعبث بكل بنت وحجر وتستعذب كل دمع وألم وتسف في هياجها حتى لتهتك فى باطن الأرض مصون كل رفاة وتخرج من بين طيات الثرى قداسة كل رميم .

وجن جنون الفلاحين من معاملة الأشراف فكان جنونهم هائلا ومروعا فمضوا يثيرون الجو بضجيجهم وغوغائهم كالرياح العاتية منادين بسقوط الحكام والارستقراطية ولم يكتفوا بذلك فأقاموا الجيليوتين وسط باريس وأخذوا يطيحون برأس كل من يشكو انه من الأشراف أو ينتمى إليهم بأى سبب مهما وهى وضعف وصادروا أملاكهم من مال وأرض وعاثوا فيها فسادا وحصنوا باريس وأحاطوها بالجند المسلحة الذين كانوا يطلقون النار على كل نبيل حاول الفرار من جحيمهم ويطمع فى الخروج إلى دنيا النور .. والسلام ..

ووجد لويس دبرغونت وولده شارل أن الإتصال بآلهما أصبح من المستحيل وخافا أن تصادر أملاكهم أسوة بباقى النبلاء فباع لويس قصرة العظيم الذى كان يملكه فى ضاحية سانت جرمين وسكن فى بيت صغير تحيط به حديقة كبيرة فى (باسى) على طريق رينوار وتنكر وأفلح فى اختبائه عن الأعين الشرهة لمرآه

والأيادي المشوقة إلى جذبه وتسمى باسم مستعار وظل سنوات ثلاث مختفيا في هذا البيت دون أن يعرف أحد أن ساكنه ماهو إلا النبيل لويس أجريبا ديرغونت سوى خادم عجوز كان يأتمنهما على سره .

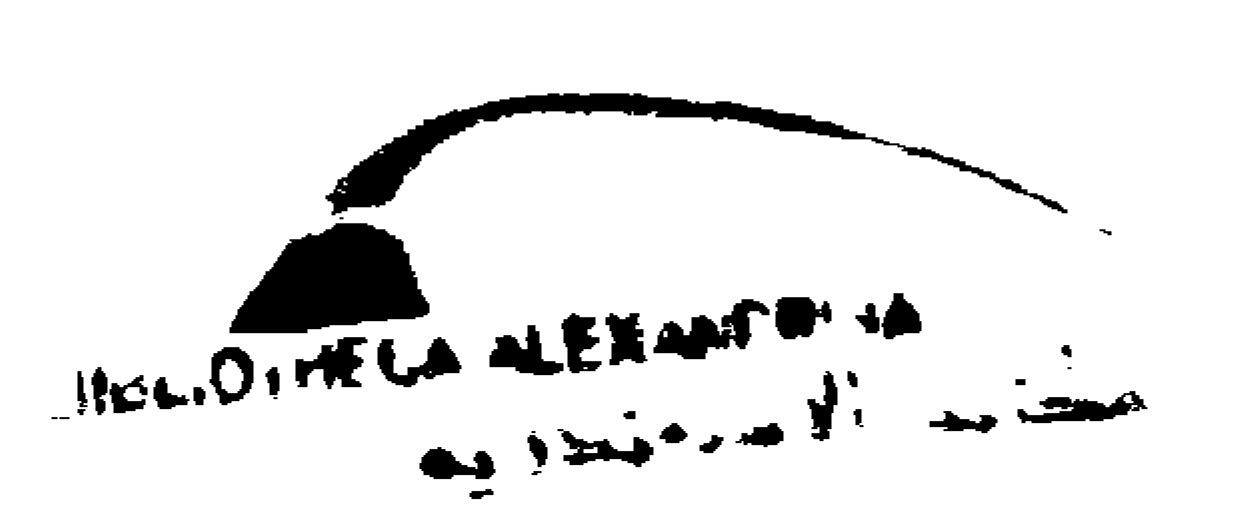
ولكن الحال لم يدم أكثر من ذلك إذ علم رجال الثورة من مصدر خفى بأمره فجزوا العدة لمهاجمته وقيادته إلى المقصلة .. وتصادف أن رأتهم الخادم مقبلين من بعد وهم يصيحون بسقوط الشريف ديرغونت وقتله ففزعت وهرعت إلى سيدها تحثه على الهرب غير إنها ما كادت تنبئه بما رأت حتى هوت الطرقات تتلى على الباب فدعا لويس ديرغونت ابنه شارل وطلب اليه أن يخاطبهم ويعوقهم قليلا ريثما يذهب هو إلى الباب الخلفى للحديقة باحثا عن مهرب ولكن محاولة شارل كللت بالفشل إذ مالبث الجنود أن أطبقواعليه وعلى أبيه .

وللمرة الأولى قاطع هولمز الاستاذ فالاندريبه قائلا :

❁ ومتى كان ذلك اليوم الذى قبض فيه على ديرغونت ؟

ففكر المحامى برهة ثم قال :

❁ كان ذلك فى اليوم السادس والعشرين من شهر جرمنيال عام ٨٢ .



وحانت من المحامى نظرة إلى النتيجة المثبتة على الحائط وقال دهشا :

❁ ياللمصادفه .. إنه يوافق اليوم بالضبط ١٥ ابريل ٨٢ .

وسأله هولمز :

❁ إذن فجرمنيال هذا هو الشهر الذى يقابل عندنا شهر ابريل؟

❁ نعم ولكن بحساب تاريخ الثورة الفرنسية ..

❁ هذا رائع .. أكمل قصتك يا سيدى .

وبعد أن قبض على ديرنمونت وولده ماذا حدث ؟مر عليهما شهران وهما مسجونان وفي الأيام الأولى من شهر (ترميدور) بحساب تاريخ الثورة أعدم ديرنمونت ولكن شارل كانت عناية الله له راصدة فأهمل ولم ينفذ فيه حكم الجيلتين الرهيب وعندئذ آلت كل املاك ديرنمونت إلى الحكومة بطريق المصادرة ..

❁ وهل كانت كثيرة ؟

❁ نعم وقد بيع البعض منها وضمنها البيت الذى كان يختفى فيه النبيل ديرنونت فى شارع رينوار ..

❁ ومن اشتراه ؟

❁ اشتراه المواطن " بيروكيه " بثمن بخس . وبعد أن أفرج عن

شارل قاضى الحكومة التى كانت قائمة وقتئذ لضم أملاك والده اليه وضمنها البيت الذى اشتراه المواطن بيروكيه ولكن الأخير كان عنيدا صعب المراس فأخذ يقيم العقبات والحواجز كى يخسر القضية وعندئذ اتصل شارل بنابليون بونابارت وسرد عليه قصته المؤلمه وهو يبكى فرق له قلبه وأعادها اليه ولميجد لمواكن بيروكيه بدأ من اخلاء البيت فتركه في ١٣ فبراير سنه ١٩٠٣ .

ولكن عودة هذه الأملاك إلى شارل كانت شؤما عليه إذ من فرط سروره أذهب عقله وقد حدث ذلك في بيت شارع رينوار فشاهد الناس شارل في اليوم التالى وهو يخرج من الباب الحديدى الكبير يبكى بحرقة فظنت شيئا قد حدث وهرعت اليه تسأله عن السبب ولشد مادهشوا عندما وجدوه يقهقه في صوت مرتفع وكانت عيناه تشع بضوء غريب لايوجد إلا في عيون المجانين ..

وسكت المحامى الكهل برهة يستريح فيها ثم عاد وأكمل قصته الغريبة :

❁ ولم تعمر آن (زوجة النبيل ديرنمونت) بعد ذلك طويلا إذ قضت هى وابنتها بولين في جنوا بعد فقدهما شارل الأقارب ولم يكن هناك من يعنى بشأنه سوى الخادم العجوز التى كانت تقوم بخدمة والده من قبل ..

ومضت الشهور وتلتها الأعوام دون أن يجد شيء إلى أن حل عام ١٨١٢ فماتت الخادم المخلصة ولكنها فاهت بخبر خطير قبل أن تصعد روحها إلى ربها فاعترفت بحضور اثنين بأن النبيل لويس أجريبا ديرغمونت كان يحمل معه عندما قدم إلى الإختباء في بيت شارع رينوار حقيبتين كبيرتين مشحونتين بالذهب والفضة وأن هاتين الحقيبتين اختفيتا قبل القبض عليه بأيام معدودة وعندما سئلت عن مكان اختفائهما قالت أن ديرغمونت وشارل هما اللذان يعرفان فقط ولكن المكان ينحصر في الجزء الذى تقع فيه المظلة ذات الأعمدة وامزولة والبئر ..

وعندما وجدت انه ليس من يصدقها أثبتت أقوالها بان النبيل ديرغمونت سلمها ثلاث صور رسمها بنفسه لقطعه الأرض التى تحوى في بطنها الكنز حتى يستدل بها الورثه على المكان المحصور .

وقال إنها أعطت الصور الثلاث لشارل فكتب على إطارتها بخطه تاريخ القبض على أبيه وعندما أصيب شارل بالجنون فجأة بذلت الخادم جهداً جباراً للبحث عن الكنز لتسلمه إلى الورثة ولكنها لم توفق في جهودها ..

وهنا سأله هولمز :

❁ وهل تظن يامسيو فالاندريبه أن الكنز لازال موجوداً في مكاه لم يمسسه أحد ؟

❁ بلاشك .. بل وسيظل خافياً إلى أن يشاء الله رفع اللثام عنه وكنت أظن أن بيروكيه عثر عليه ولكنى سمعت انه مات وهو في فقر ومسغبة مدقعين .

❁ وماذا حدث بعد ذلك ؟

❁ سعى الورثة إلى العثور على الكنز المدفون ،وكانوا ينحصرون في أبناء بولين شقيقة شارل الذى اتضح بعدئذ أنه كان متزوجا في الخفاء وله من زوجته أبناء ..

❁ وماذا حدث لشارل بعد ذلك ؟

❁ بعد أن جن لم يعد يفارق غرفته أبداً طيلة العام ولكن إذا حان يوم ١٥ ابريل هبط إلى الحديقة وقبع تحت المظلة الحجرية مطرقا برأسه فاذا ماوافت الساعة الخامسة بعد الظهر انتصب واقفا وسار إلى غرفته ليقيم بين جدرانها الأربعة طيلة العام .. وظل هكذا إلى أن مات عام ١٨٢٠

وعاد هولمز يسأله ؟

❁ مضت مائة عام على ذلك ولكن الورثه الذين كانوا يتجددون بتجديد السنين ظلوا يبحثون عن مكان الكنز

إلى يومنا هذا وهم يجتمعون في يوم ١٥ ابريل من كل عام بالقرب من المظلة الحجرية والبئر والمزولة يبحثون وينقبون دون أن يتركوا شبراً من أرض الحديقة إلا قلبوه رأساً على عقب ولكنهم لم يوفقوا أخيراً فباءوا باليأس والقنوط وأخذوا يكتفون بالاجتماع والجلو هناك منتظرين وقوع حادث فجائى يكشف لهم سر المخبأ .

هذا ياسيدى الكابيت كل ماأعرفه ..

* ولكن مارأيك الخاص .. هل تعتقد بوجود كنز ؟

فبدت على وجه المحامى علامات الإشفاق والرثاء وأجاب :

* في الحقيقة أإى أعطف على هؤلاء الورثة الذين يتشبثون بأمل ضائع فهم في كل عام ينتظرون يوم ١٥ ابريل كما تنتظر الأرض الظمأى قطرة الماء الهاطلة ورغم إملاقهم وعوزهم الشديدين فهم إذا وجدوا شخصا يود شراء البيت هبوا في وجهه قائلين إنهم لايبيعونه مهمابلغ ثمنه .. وفي نظرى أن المسألة لاتتعدى خرافة .. إذن من يدرينا أم الخادم العجوز لم تكن تعرف وتهذى بهذيان الموت عندما اعترفت بوجود هذا الكنز ؟ ولنفرض وجود هذا الكنز فمائة عام مع التنقيب والبحث في كل شبر من أرض الحديقة كافيه لأن تظهره !!

* ولكن ألا تكفى الصور الثلاث لتكون برهانا على صحة أقوال الخادم ؟

ثم تناول هولمز الصورة الثالثة من فوق المكتب وجعل يفحصهاا لحظة قم قال :

* ذكرت يا سيدى إنها ثلاث صور .. فأين إذن الصورتين الأخريين ؟!

* الصورة الثانية عند لويز ديرنمونت ولكن الثالثة لاندرى عنها شيئا .

* ولكن من أعطاك هذه الصورة ؟

* أعطاها لى الورثة أنفسهم كى استخدمها في قضيتهم .

* وهل تحمل الصور الثلاث نفس التاريخ على اطارها ؟

* نعم وقد حضره شارل قبل وهذا التاريخ هو يوم هجوم رجال الثورة على والده لويس ديرنمنت والقبض عليه ١٥-٤-٢ .

* وما معنى رقم ٢ .

* إن رقم ٢ بحساب تاريخ الثورة الفرنسية يقابل عندنا عام ١٧٩٤ميلادية .

❁ ولكنى أظن أن رقم ٢ يشير إلى ..

وكـأنما كـان هولمز يريد أن يبـوح بشيء ولكنه عـدل عنه في اللحظة الأخيرة وقال :

❁ وهل إذا تقـدم أحـد للورثة وطلب منهم أن يسـمـحـوا له بمساعدتهم في البحث عن الكنز هل يسمحون له بذلك ؟

❁ نعم إن كـان في إمكان كل شـخص أن يقـدم نـفسـه على شريطة أن يدفع للورثة ألف فـرانك عـلى سبـيل المساعـدة ورفع بعد ذلك المبلغ إلى خمسة آلاف فرنك وقد تقدم فعلا أحد الأشخاص ولا أذكر اسمه الآن ودفع الرسم لمقرر غير أنه خسرها إذ لم يوفق إلى شيء .

وهنا ومضت عينا هولمز ببريق غريب وأثار دهشتى وهو يسأل المحامى :

❁ وإذا حدث ونجح المتقدم في الكشف عن مخبأ الكنز ؟

❁ يكون له ثلثه ثم يقسم الثلثان على الورثة ..

وازداد ذهولى حينما وجدت هولمز يخرج من حافظته وينتقى منها خمس ورقات من فئة الألف فرنك ويقدمها إلى الاستاذ فالاندريـيه المحامى قـائلا :

❁ إذن فخذ الرسم وسوف أبحث بنفسى عن الكنز ولكن أرجو إعطائى وصلا بتسلم الخمسة ألاف فرنك وعليك بعد ذلك أن تتفق مع الورثة على أن نتقابل جميعا يوم ١٥ ابريل من العام المقبل لإجراء البحث والتنقيب أمامهم .

وغص المحامى الكهل وإزدرد ريقه غير مرة ثم قال وهو مبهور الأنفاس :

❁ هل أنت جاد في قولك ياسيدى الكابتن ؟

❁ كل الجد ياسيدى ؟

❁ ولكنى أخبرتك أن مسألة الكنز مجرد خرافة خالية من كل دليل يثبت وجوده .

فأجاب هالمز في اقتضاب :

❁ لا أظن ذلك ..

وأخرج المحامى ورقا من درج المكتب وحرر عقداً يتضمن شروط القيام بأعمال البحث والتنقيب باسم ورثة النبيل لويس اجريبا ديرنمونت والككانت جانيو وبعد أنإزنتهى من الكتابة التفت نحو هولمز قائلا :

❁ إذا رجعت عن عزمك فأرجو أن تبلغنى قبل حلول الميعاد

المحدد للبحث بأسبوع على الأكثر ياسيدى الكابتن ولكن سوف لا أخبر الورثة بما تم بيننا إلا قبل ١٥ ابريل في العام المقبل بساعات محدودة حتى إذا حدث وتراجعت عن البحث لايكون لذلك أدنى تأثير في نفوسهم التى أنكهتها الأعوام وطول الانتظار .

* كلا لست من رأيك يا سيدى الاستاذ ويمكنك إخبارهم من الآن حتى يحييهم الامل ويجدد من عزمهم .

* حسناً ياسيدى . كما تريد !!

قالها الاستاذ فى لهجة من لا يثق بكلام محدثه . .

وبعد ان ودعنا المحامى وصرنا فى الطريق سألت هولمز وانا فى شدة الهشة :

* هل انت واثق يا هولمز من عثورنا على هذا الكنز المزعوم ؟

* ولم لا .. سوف نرى . إن أمامنا مدة طويلة ٣٦٥ يوماً سأفكر فيها فى الموضوع ملياً غير أنى أخشى أن أنسى بطول الوقت فأرجو تذكيرى بها فى الوقت المناسب ...

وبعد شهرين من الحوادث التى سردتها عدنا الى لندن على ان نرجع الى فرنسا بعد عام قبل يوم ١٥ ابريل لنبحث عن الكنز ..

ومضت الشهور وشغلنا بقضايا أخرى لا تقل غرابة عن هذه القضية وكثيراً ما كنت أحاول أن أذكر هولمز باقتراب ميعاد البحث عن الكنز الموهوم ولكنه كان فى كل مرة يهز رأسه دون ان يبالي ويعطى الموضوع اى اهتمام من جانبه حتى خشيت اخيراً أن تضيع الخمسة آلاف فرنك التى دفعها رسماً للبحث ..

واتصل بنا بعد ذلك أن لويز ديرنمونت احبت رجلا ينقصها ببضعة اعوام وحاول أن يتزوجها ولكن اهله أرغموه على ان يتركها متعللين بفقرها المدقع..

وعادت الشهور الباقية من السنة تمر تباعاً وبقى على اليوم الموعود عشرة ايام فعدت الى تذكير هولمز ولكنه اعتذر بعدم استطاعته السفر الي فرنسا الآن قبل ان ينتهى من قضية هامة انيطت به وسألنى أن أسبقه إلى باريس على أن يلحق بى فيما بعد

وهَلَّ عليّ يوم ١٥ ابريل دون أن يحضر هولمز فاعتقدت أنه نكث بعهده وضرب بالمبلغ الذى دفعه عرض الحائط ورغم ذلك فقد انتظرت في الفندق الذى نزلت به لعله يحضر في آخر لحظة ولكن انتصف النهار دون أن أسمع عنه وفي الساعة الثانية عشر والربع ارتديت ملابسي واتجهت صوب البيت الكائن في طريق باسى بشارع رينوار حيث قابلنى هناك الأستاذ فالاندريه وهو يكظم غيظه قائلا :

❁ أين صديقك الكابتن ياسيدى ؟

❁ لقد حسبت أنه حضر إلى هنا قبلى .

فقال وهو يضغط على ضروسه :

❁ كلا إنه للآن لم يحضر وكلنا في انتظاره .

وعندما دخلنا من الباب الحديدى الكبير اجتمع حولنا القوم وقد شعت وجوههم بنور الأمل وأخذوا يسألوننى عن موعد حضور صديقى الكابتن جانيو فشرحت لهم الأمر وذكرت أننى تركته في لندن ووعدنى بحضوره .

وشعرت بالندم والخجل عندما وجدت وجوههم تربد فجأة وتموج عليها سحابة اليأس القاتل والقنوط المميت بينما قال المحامى :

❁ لو لم يكن قال لى أن أخبر الورثة بما تم بيننا من الاتفاق لما ذكرت لهم حرفا واحداً يبعث عندهم أملاً مات منذ مائة عام ولكن لم أكن أدرى أن صديقك يهزأ بنا ويسخر منا .

فأردت أت أرد غيبة هولمز . فجعلت أسرد عليهم بعض قضاياه التى حلها والتى تدل على ذكاء نادر بل منقطع النظير والكل يستمعون في إعجاب وفتنة ، وما أن انتهيت من حديثى حتى سمعت لويز ديرغونت تسأل المحامى :

❁ وإذا لم يحضر الكابتن جانيو هذا ، فماذا نفعل بالخمسة آلاف فرنكا ؟

❁ تقسم على الورثة بلاشك .

وكان لرأى المحامى وقع شديد التأثير في نفوس الجميع إذ أتوا بحركات تدل على القلق واليأس فقد انتظروا عاما بأكمله بقلوب واجفة تكاد تحصى في نبضاتها اللحظات والدقائق حتى إذا كان اليوم المعهود انهار كل شيء في لحظة واحدة وتماوجت على وجوههم غيمة اليأس وسرى في أبدانهم ذهول عميق ليس له قرار وظلوا واجمين حتى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر فقال المحامى :

❁ انتهى كل شيء ولا يبقى سوى تقسيم المبلغ عليكم ..

وماكاد ينتهى من حديثه حتى سمعنا صوت عربة قادمة بأقصى سرعة ولم تمض برهة حتى دخل علينا هولمز بقامته المديدة وشعره الرمادى وعينيه اللتين تشبهان عينى الصقر وقال وهو يشير إلى طفل من أبناء الصانع :

❁ لقد سهى على أن أطلب من السائق الانتظار فأرجو أن تذهب إلى موقف العربات وتدعو عربة في أسرع وقت ممكن فليس لدى سوى عشر دقائق .

وما سمع القوم جملتة الأخيرة حتى تبادلوا الهمس وشحبت وجوههم وبدا كأنهم أشباح ولحظ هولمز ذلك فقال :

❁ اطمئنوا ولا تخشوا شيئا فعشر دقائق ليست بالوقت القصير ثم اعتذر لهم عن تأخيره في الحضور قائلا إن القطار خرج عن الخط بين محطتين صغيرتين في الطريق وقد قتل في هذا الحادث الرهيب اثنى عشر شخصا غير جرحى كثيرين فلن أجد بداً ن تقديم المساعدة الممكنة ..

وعندئذ عاد الأمل ينبعث من جديد فأشرفت وجوههم بعد غروب وتهللت بعد وجوم وهمسوا فيما بينهم أنهم سيظفرون باليسار والترف وشيكا وأن هذه الغيمة التى ظلت مائة عام تحجبهم عن النور سوف تتبدد وترق ويصيبهم من اندائها الهاطلة كل خير .

ونظر هولمز في سعته قائلا :

❁ هيا بنا قبل أن نضيع الوقت عبثاً .

وكنت واثقا كل الوثوق أنه مادام كلف نفسه مشقة الحضور من لندن فلابد أن فى عقله خطة مدبرة ينوى أن يسر عليها ليبلغ حتما إلي نتيجة إذ عهدته ناجحا فى كل قضية يقدم على حلها وشق هولمز طريقه بين الورثة حتى وصل إلى المزولة التى تتوسط

الحديقة وأخذ يفحصها برهة كانت قاعدتها على شكل إنسان يحمل على ظهره لوحة رخامية مستديرة نقش على سطحها الأرقام التى تشير إلى الوقت وكادت هذه العلامات تتلاشى لطول عهدها .. وفي وسطها تمثال صغير لكيوبيد إله الحب وقد أمسك بيده سهما حاداً كان بمثابة العمود الذى يلقى ظله على الأرقام عندما تسطع الشمس ..

وفجأة سأل هولمز وهو بعيد النظر إلى ساعته :

* اسعفونى بمبراة ..

ودقت ساعة الكنيسة المجاورة دقتين وكأن ظل سهم كيوبيد وقتئذ ملقى على خط يقطع اللوحة الرخامية إلى نصفين متساويين كل منهما نصف دائرة ..

وعبث الرجل البدين في جيبه ثم أخرج منها مطواة كبيرة الحجم فتحها ثم قدمها إلى هولمز الذى ما كاد يراها حتى اختطفها منه بسرعة وراح يحفر بحدها هذا الخط الذى يقسم لوحة المزولة إلى نصفين متساويين ولقى بعض المشقة فى رفع الأوساخ والأتربة التى تجمعت فى مجراه .

وبعد أن حفر نحو أربعة سنتيمترات اصطدم حد المبراة بشىء صلب وجعل هولمز يناضل فى اخراج هذا الشىء من بين شطرى اللوحة حتى نضحت مسام وجهه وذراعيه بالعرق .

وأخيراً قدم (الشىء) إلى الأستاذ فالاندرييه المحامى قائلا :

❁ هاك يا سيدى ما يثبت وجود الكنز .. فى المزولة !!

وتطلعنا إلى كف المحامى فراعنا أن نجد قطعة من الماس الحر في حجم البندقة بينما أخذ هولمز يحفر ويحفر وهو فى كل مرة يخرج ماسة أخرى حتى بلغ ما أخرجه أخيراً ثمان عشرة ماسة كلها فى حجم واحد .

وفوجىء الورثة برؤية هذه الماسات النادرة فجعلوا يحملقون فى وجوه بعضهم بعضا دون أن تصدر من بين شفاههم كلمة .. وبعد أن أفاقوا لأنفسهم ووثقوا من أن ما حدث حقيقة لا حلما التفتوا إلى هولمز وهم يصافحونه بعيون تطفر منها دموع الشكر العميق ..

وعندما سألت هولمز بعد ذلك عن كيفية عثوره على هذا الكنز الذى ظل خافيا ما ينوف عن مائة عام

أشار إلى جانب رأسه قائلا :

❁ باستعمالى العقل !

❁ أى عقل جبار هذا .. وهل خلقت الخادم العجوز بدون عقل لأنها فشلت فى كشف السر ؟ كذلك لويز ديرغونت الحائكة والشحاذان والشقيقتان والسيدة ذات السيارة

والجندى المتقاعد و .. و .. أى الورثة الحاليين وهم أحفاد أناس ظلوا يدفنون كل شيء في الحديقة مائة عام ..

❁ لم تفهم يا واطسون قولى وقد قلت " باستعمالى العقل " فانا لا أقول إن هؤلاء جميعا خلقوا عاطلين عن العقل ولكنى أقصد أن عقولهم فى رءوسهم ولكنهم لم يحسنوا استعمالها .

فصحت دهشا :

❁ وكيف استعملت عقلك أنت ؟

❁ قبض على النبيل لويس أجريبا ديرنمونت فى يوم ١٦ جرمينال بحسب تاريخ الثورة الفرنسية أى يوم ١٥ أبريل عام ١٩٧٤ بالتاريخ الميلادى ولو لحظت ما كتب على أطارات الصورة الثلاث لوجدت ١٥-٤-٢ أى عام (٢) وكان من الواجب أن ينقش شارل ١٩٧٤ بدلا من (٢) هذه والخلط بين التاريخين تاريخ الثورة الفرنسية وتاريخ الميلاد جعلني أشك فى أن رقم (٢) يدل على العام الذى قبض فيه على ديرنمونت ..

وبدأت أفهم السر فقلت :

❁ إذن فقد اعتقدت أنه يدل على الساعة الثانية

فابتسم قائلا :

❁ نعم .. وهل في ذلك شك .. إن ديرنمونت عندما انتقل هو وابنه وخادمه العجوز إلى البيت الواقع فى شارع رينوار اشترى بأمواله الماسات الثمانية عشر كى يحفظ هذه الثروة العظيمة في حيز صغير يسهل اخفاؤها ولما فوجىء برجال الثورة وهم قادمون للقبض عليه عرف مصيره وهو القتل فهرع إلى الحديقة وكان سهم المزولة إذ ذاك ينعكس ظله على الخط الذى يقطع لوحتها الرخامية إلى شطرين فتمكن من اخفاء ماساته قبل هجوم رجال الثورة والقبض عليه وعندما أراد شارل أن ينقش على اطارات الصور تاريخ القبض على أبيه لم يكتب سوى تاريخ اليوم والشهر وبدلا من أن ينقش تاريخ العام أيضا كتب الساعة التى تم فيها القبض على أبيه فكانت ١٥-٤-٢ وقصد بها أيضا أن الماسات لثمانية عشر مختفية فى المكان الذى يلقى سهم المزولة ظله عليه في الساعة الثانية تماما وقد تمكنت من الوصول إلى ذلك باستعمال عقلى ولكم أنا سعيد لأنى تمكنت من أن أذيب هذه السنين المرهقة التى عاشها هؤلاء الورثة مائة عام كاملة ..

وقد اقتسم الورثة بعد ذلك ثلثى الماسات وأخذت أنا وهولمز

الثلث الباقى وسعدت لويز ديرغمونت بالزواج من حبيبها بعد أن وجدت أسرته هذه الأموال التى تدفقت عليها وعلمت أنها تنحدر من أسرة نبيلة لا تقل عنها شرفا ومالا .

رقم الايداع : ١٩٩٥/٢٥٣١

I.S.B.N.: 977-5496-15-2


دار الفرجاني
القاهرة - طرابلس - لندن
القاهرة: ٩ ميدان الذهبى -منشية البكرى - مص
ص. ب ٢٣٨٢ الحرية - تليفون ٩٠٥٨٩٥